الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي – الأغواط

كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

ميدان: اللغة والأدب العربي
شعبة: الدراسات الأدبية
تخصص: أدب حديث ومعاصر

تجربةالإقامة الجبرية في الشعرالجزائري

تجربةمحمد العيد آل خليفة أنموذجا

إعداد
قطواش الضاوية

إشراف
أ.د. أبو بكر مرزوق

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة
أ.د–بن شاعة جلول	رئيسا
أ.د–أبو بكر مرزوق	مشرفا ومقررا
أ.د– حفاصي سليم	مناقشا

السنة الجامعية:2018/2017

شكر

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان

والتقدير للأستاذ المشرف أبو بكر مرزوق على

توجيهاته القيمة و تشجيعه المستمر كما لا ننسى

جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة

عمار ثليجي بالأغواط على مجهوداتهم المبذولة

طيلة المشوار الدراسي

إهـــــــــــــــداء

إلى من بالنجوم كتبت اسمها.

إلى من بقلبي يعيش هواها

إلى من بحضنها عشت صبايا

أمي الحنون.....أمي الحنون

إلى من يهدأ قلبي بعد رضاه

وتهنأ عيني لنور ضياه

إلى والدي حفظه الله

إلى الطيبين إلى الكرماء

إلى من روحي فداهم إلى اخوتي الأعزاء

إلى من تم بهم غنا الأجيال

إلى أهل الجود والعرفان

إلى أساتذتي الكرام

لهم كل التقدير والامتنان

إلى كل أبناء الجزائر

وكل من ترك بصماته في ذاكرة الأمة

إلى من ذاق مرارة الغربة،

واحترق في صمت الإقامة الجبرية.

إلى روح الشاعر محمد العيد آل خليفة

إلى كل عظماء الجزائر ورجالها....

إلى كل من يتألم ولا يتكلم

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي

في وجود الإنس سر في الغريب

كم ترى في الكون نورا في اللهيب

ما الغريب إلا بدر لليالي

رغم ذاك لن يكون بالقريب

أي حال فيه أنت يا غريب

ليس فيك دون إنس من معيب

ليس في القرب اشتياق للغياب

ليس في الغرب ارتياح للغريب

فاصطبر وارض بالغرب ائتلافا

فالزهور تنحني طوع الغروب

وانظم الأشعار ندا للمآسي

فالتناسي ليس بالأمر العجيب

الملخصات

ملخص

أدب الإقامة الجبرية هو وليد ظروف غير طبيعية، يقف وراءها الاستعمار والاستبداد في محاولة لقهر الشعوب، والدوس على قيمها الإنسانية.

ولعلّ فئة الأدباء والمفكرين هي الفئة المستهدفون – بعد فئة السياسيين – بمجرّد خوضهم السياسي في مناهضة المحتلّ أوالمستبدّ، كونها الفئة القادرة على إيقاظ النفوس، ورفع الهمم، وبث الوعي السياسي والاجتماعي، والدفاع بالكلمة المؤثرة عن قضايا الإنسان، وحقّه في الحرية والعدالة والعيش الكريم.

ذلك الذي عبّر عنه الشاعر الجزائري "محمد العيد آل خليفة" من داخل إقامته الجبرية بـ "بسكرة"، وذلك الذي تحاول هذه المقاربة تناوله بالدراسة والتحليل، من خلال قصيدتي مناجاة بين الشاعر، و(الطائر أبي بشير)، والشاعر و(جبل أبي المنقوش).

الكلمات المفتاحية: التجربة الشعرية – أدب السجون – الإقامة الجبرية – أدب المنفى – الأدب الجزائري الحديث – الشعر الوطني التحرري – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – محمد العيد آل خليفة – بسكرة.

RESUME.

La littérature de la résidence surveillée est le résultat de circonstances non naturelles, derrière lesquelles le colonialisme et la tyrannie tentent de conquérir les peuples et de fouler aux pieds leurs valeurs humaines.

Peut-être que les écrivains et les penseurs catégorie est la cible de la catégorie - après la classe politique - une fois que la politique à long dans la lutte contre l'occupant, étant un groupe capable d'âmes d'éveil, augmenter la motivation, la sensibilisation politique et sociale, et de défendre le mot touchant les questions de l'homme, le droit à la liberté, la justice et une vie décente.

Cela exprimé par le poète algérien « Mohammed Eid Al Khalifa » à l'intérieur de son arrestation comme « Biskra », de sorte que vous essayez cette approche portait sur l'étude et l'analyse, à travers mon poème soliloque entre le poète et (Taier Abu Bashir), poète et (Jabal Abou almankouche).

Mots-clés: expérience de la poésie - la prison de la littérature – résidence surveillé - l'exil de la littérature - libération nationale Poésie - - Littérature moderne algérienne Association musulmane d'Algérie Scholars - Mohammad Eid Al Khalifa - Biskra.

مقدمة

مقدمة

في فترة من أقسى الفترات التي تمر بها الشعوب، ومع احتدام الصراع مع من يسعى إلى الدفاع عن هويته،ويتطلّع إلى استقلال بلاده من قبضة المستعمر الغاشم، كانت مظاهر الاضطهاد والقمع حاضرة، بكل أشكالها: من اعتقال،وسجن،ونفي، وإقامة جبرية، خاصة مع فئة المثقفين، والمفكرين، والأدباء الناطقة بصوت الشعب المضطهد، حيث يطفو الإبداع شاهدا على المنافي الباردة ، مكسرا جدران السجون الخانقة ، مجسدا الإحساس بالأسى والوحشة والألم في رهبة الإقامة الجبرية القاسية.

كانت الإقامة الجبرية من أبشع صور الأسر والسجن، بوحدتها الموحشة، وغربتها القاسية،وصوتها المقموع، يزداد ألمها مع طبيعة الشخص المقيم عليه هذا الحدّ القاسي، بل يشتدّ وقعها إذا تعلّق الأمر بإنسان مفرط الحساسية، شديد الانفعالية، كالأديب كاتبا كان أم شاعرا، أين تنعكس المعاناة في إبداعه الأدبي.

لقد كانت ظاهرة "الإقامة الجبرية" تجربة مميّزة في ألمها، وأملها، تتقاطع مع تجربتي "السجن" و"المنفى"، بل ربّما مثّلت أقسى صورة في التجربتين حين يكون المقيم شبيها بالمسجون المتحرّر، أو المتحرّر المسجون. وعلى هامش هذه المعاناة المزدوجة القاسية، ينتج الأديب نصه الخاص، حين تجتمع فيه هذه النكهات المرّة الحرّاقة، ذلك الذي يحملنا إلى محاولة رصد هذا الأدب المقموع، باتّخاذ أنموذجين أدبين نحاول استنطاقهما، ما استطعنا، لعلّهما يمنحانا بعض البوح، وسوف تكون عينة دراستنا تجربة الإقامة الجبرية مع شيخ شعراء الجزائر في العصر الحديث: محمد العيد آل خليفة.

إنّ الكلام عن تجربة محمد العيد في الإقامة الجبرية، لم يكن محض صدفة، أو قدرا مفروضا على الباحث، وإنّما يرجع اختيارنا فيها إلى قناعات يمكن تحديد فكرتها في:

ميلنا الأصيل بأدبنا الجزائري، وثقافتنا الوطنية،باعتبارهما عاملا مهما في تشكيل هويّتنا الوطنية القومية الإسلامية.

تعلّقنا الشديد برمزين كبيرين في تراثنا الجزائري لا يذكر أحدهما إلاّ بذكر الآخر، ألا وهما شاعر الثورة: مفدي زكرياء، وشاعر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: الشيخ محمد العيد آل خليفة.

رغبتنا الجامحة في الخوض في هذا النوع من الأدب المقموع، القليل النماذج،النادر التناول في الدراسات القديمة والحديثة.

وقد حاولنا من خلال هذا البحث الإجابة عن الاشكال التالي:

"هل استطاع الأدباء والكتاب عندإخضاعهم إلى "الإقامة الجبرية"، إن يتمثلوا هذه التجربة فنيّا، دون أن يغطي عليها أنموذج أدب السجن أو المنفى؟ وهل استطاعوا، من خلال هذه التجربة القاسية،تصويرالمعاناة الوطنية وتجسيد الألم الإنساني بعيدا عن نماذج القمع الأخرى؟ وكيف تجلى ذلك عند شاعرنا محمد العيد آل خليفة، الذي عاش وعايش هذه المعاناة؟

ولما كان بحثنا يحاول – جاهدا – الخوض في هذا المضمار، معتمدا على تجربة أدباء عرب طاولهم هذا التعسف من الحكومات الاستعمارية أو الأنظمة المستبدة، فان هدفنا المسطّر من هذه المقاربة كان بالتركيز على التجربة الجزائرية، عبر معاناة الشيخ محمد العيد آل خليفة، وتجربة الإقامة الجبرية في "بسكرة".

ولأجل ضمان مقاربة واعية هادفة، استقر منهج القراءة على المنهج الوصفي،كونه الأنسب في عرض الظاهرة، في بعدها الإنساني، ورصدها زمن الاستعمار وزمن الاستبداد، إلى جانب المنهج التحليلي، من خلال استنطاق نصوص هذه التجربة،ومقابلتها بمثيلاتها من نصوص السجن، والنفي، والاغتراب،بسوق تجارب لهذا الأدب المقموع، واستنباط خصائصه، خاصة مع تجربة محمد العيد آل خليفة الشعرية.

ولكي نقف على أهم ما يتعلّق بهذه الظاهرة، قمنا بتقسيم البحث إلى: مدخل، وفصلين، يسلمانا إلى خاتمة استنتاجية.

المدخل: تناولنا من خلاله: مفهوم الإقامة الجبرية، وعرض الفرق بينها وبين مفهومات متقاربة مثل: (الاغتراب، النفي، السجن، العزلة)، بالإضافة إلى عرض تأريخ قانون العقوبات في هذه المجالات، كما عرضنا لأهم من تعرّض إلى هذه التجربة (تجربة الإقامة الجبرية) عند الزعماء السياسيين، ورجال الحكم.

الفصل الأول: تطرقنا فيه إلى مظاهر الأسر (السجن، النفي) قديما وحديثا،مع التركيز على الإقامة الجبرية، بوصفها تجربة أدبية، لها تمظهراتهاالواضحة عند الأدباء العرب بصفة عامة، وعند أدباء الجزائر بصفة خاصة.

الفصل الثاني: تعرضنا فيه إلى مقاربة تجربة "الإقامة الجبرية" عند محمد العيد آل خليفة، من خلال الوقوف عند محطات حاسمة من تاريخه السياسي والإصلاحي والفني،وتحليل أنموذجينمن شعرهعبّرت عند هذه التجربة.

خاتمة: أبرزنا فيها أهم النتائج المتوصّل إليها، مع فتح أفق بحثي لمن يريد الخوض في هذه "الموضوعة" النادرة في أدبنا العربي (موضوعة الإقامة الجبرية).

في الأخير: نتوجّه إلى أستاذي المشرف، بخاص الشكر والامتنان على حضوره في كلّ زاوية من زوايا البحث، شاكرة له دعمه ومساندته، وتدخلاته الموضوعية، التي لا يمكن إخفاؤها في ثنايا البحث، سائلة الله أنّ يوفّقه في مسيرته العلمية. فجازاه الله عنا خير الجزاء.

مدخل

عناصر بحث المدخل

تمهيد:

الإقامة الجبرية في اللغة

الإقامة الجبرية في الاصطلاح

فروقات اصطلاحية

الإبعاد (النفي)

السجن

الاعتقال

الإقامة الجبرية

الاغتراب

العزلة (العزلة الاجتماعية)

تاريخ قانون العقوبات

مرحلة الانتقام الفردي

مرحلة العقد الاجتماعي (pacte social)

مرحلة تكوين الدول

مرحلة تطور قانون العقوبات أواخر ق18

قانون العقوبات الجزائري

مرحلة ما قبل 1962

مرحلة ما بعد 1962

زعماء سياسيين رهن الإقامة الجبرية

مدخل عن الإقامة الجبرية

الحرية والأمان حق من حقوق كلّ إنسان، تتوقف حيثما تبدأ حقوق وحريات الآخرين، ولكن مع ذلك يظل انتهاك السلطة لهذا الحق أمرا حاصلا على مر العصور، أين تحاصر حرية الأفراد وتتعرض للقمع والقيود ، وقد تتخذ هذه القيود صورا عدة منها التوقيف والاعتقال، أو النفي أو فرض الرقابة على حرية التنقل والإقامة.

وإذا كانت "الإقامة الجبرية" قيدا مانعا للحرية؛ تختلف عن "المنفى"؛ كونه انقطاعا عن الوجود الفعلي في الوطن،وعن "السجن"؛ بوصفه مكانا محدّدا انفراديا أو جماعيا؛ تتضاعف فيه صور التعذيب، إلا أنّ"الإقامة الجبرية" تولّد – مثلهما – إحساسا مقيتا بالغربة والاغتراب.

الإقامة الجبرية في اللغة:

جاء لسان العرب لابن منظور (1245-1325) في مادة (قَوَمَ): القيام: نقيض الجلوس، قام، يقوم، قوما، وقياما، وقوْمة، وقامة. والقومة: المرة الواحدة.ومنه قولهم: أقام بالمكان؛ هو بمعنى الثبات.والمقام والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه. والمقامة (بالضم): الإقامة، والمقامة (بالفتح): المجلس، والجماعة من الناس.وأقام بالمكان إقامًا، وإقامة، ومقامًا، وقامةً(الأخيرة عن كراع): لبث[1].

أما في المعجم العربي الأساسي: فقد ورد :أقام ، يقيم ، إقامة المكان: اتخذه مقاما. وإقامة جبرية : فرض الإقامة على شخص سياسي في منزله أو في مكان يخصص له[2].

أما مادة (جبر)، فقد ورد في مختار الصحاح:جبر: وجبر الرجل على الأمر، يجبره جبرا أو جبورا، وأجبره:أكرهه ... والإجبار: في الحكم؛ يقال:أجبر القاضي الرجل على الحكم: إذا أكرهه عليه.وكان الشافعي يقول: جبر السلطان، وهو حجازي فصيح. وقيل للجبرية: جبرية، لأنّهم نسبوا إلى القول بالجبر.والجبر: أن تغني الرجل من فقر، أو تصلح عظمة من كسر[3].

---

[1]–ابن منظور : لسان العرب ، دار الجيل ، بيروت (د.ت.ط) مادة: قوم

[2]– أحمد العابد وآخرون: المعجم العربي الأساسي ، تقديم محي الدين صابر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (د.ط)،1989. مادة قوم.

[3]– أبو بكر الرازي : مختار الصحاح ، دار الكتب العربية ، بيروت (د.ت.ط) مادة: قوم.

وجاء في المعجم العربي الأساسي: أجبر، يجبر، إجبارا: منسوب إلى الإجبار: الإلزام،وإقامة جبرية: إلزامية: "وضع الرئيس السابق تحت الإقامة الجبرية في منزله"[1].

من خلال هذه الدلالات المكانية لملفوظ (الإقامة الجبرية)، ندرك أنّ المعنى الجامع له هو الحلول بالمكان على وجه الإلزام، أو الإكراه.

الإقامة الجبرية في الاصطلاح :

تعتبر الإقامة الجبرية عقوبة قاهرة لحرية لإنسان ومقيدة لها، خارجة عن إرادته، تمارس ضده فتمنعه من السفر والتنقل. وقد تعددت مفاهيمها بتعدد القوانين من دولة إلى أخرى.

في موسوعة المصطلحات القانونية جاء: " تحديد الإقامة l'assignation a résidence: ويقصد بها إلزام المدان بجريمة، بأن يقيم بصفة قانونية في حيز مكاني، يكون قد حدّده له الحكم القضائي"[2].

كما يمكن تعريف الإقامة الجبرية بأنها: "إجراء إداري أو تنفيذي يتم بمقتضاه حرمان شخص معين من حريته بدون توجيه اتهامات إليه، وذلك لدواع أمنية محضة، ضمن إحدى المناطق المشمولة بحالة الطوارئ"[3].

في حين ورد في القانون اللبناني عن الإقامة الجبرية، أنها: "من العقوبات الجنائية والجنحية السياسية، وتفترض تعيين مقام للمحكوم عليه يختاره القاضي من لائحة موضوعة بمرسوم.

ومدة الإقامة الجبرية تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس عشرة سنة في الجنايات السياسية، وبين ثلاثة أشهر وثلاث سنوات في الجنح السياسية"[4].

---

[1]– أحمد العابد وآخرون: المعجم العربي الأساسي، مادة: جبر.

[2]– عمقوت عمر : موسوعة المصطلحات القانونية وقواعد الشريعة الإسلامية دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر (د.ط) ، 2012 ، ص: 420

[3]– منذر الشاربي : مقال دراسة قانونية حول الإقامة الجبرية ، مرصد الحقوق مارس 2016 ، موقع ، WWW.ODL.T.N

[4]–سمير عالية: أصول قانون العقوبات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتواريخ ، بيروت ، ط1 ، 1994 ، ص427

أما في موسوعة السياسة فالإقامة الجبرية هي: "إجراء وقائي تتخذه أجهزة الأمن بحق شخص تعتبره خطرا على النظام العام، ويقضي هذا الإجراء بإقامة الشخص في مكان تحدده السلطات الحكومية مع خضوعه لمراقبة تحد من حريته في التنقل.

وتتميز "الإقامة الجبرية" عن "الاحتجاز الإداري" في أنها إجراء تستطيع السلطات الإدارية بموجبه أن تلقي القبض على شخص تعتبره خطرا على الأمن العام، دون أي تدخل من قبل السلطات القضائية، وهو بالتالي: إجراء على غاية من الخطورة من حيث إنّه يقضي على الحرية الشخصية في غياب أية مراقبة؛ إذ لا يتدخل القضاء الإداري إلا في وقت لاحق.

وبالرغم من أنّ هذا الإجراء كان – في أساسه – موجها ضد الأشخاص الذين يهددون السلامة العامة؛ أي: المجرمين، فإنّه يطبق، اليوم، بشكل متزايد، وبصورة خاصة،بحق المعارضين السياسيين"[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك مرادفات أخرى للإقامة الجبرية، كـ "الحبس المنزلي"، و"الاحتجاز"، فيما يعتبرها البعض قمعا سلطويا من الحكومات لمنع المعاقب من الوصول إلى وسائل الاتصال أو التواصل مع الجماهير"[2].

من خلال هذه المفاهيم، يتضح لنا أنّ"الإقامة الجبرية" تندرج ضمن الإجراءات التعسفية التي تمارس ضد الإنسان، السالبة لحريته، مما ينجم عنها حرمانه من حقوقه الاجتماعية والثقافية،وحقوقه المدنية والسياسية.

فروقات اصطلاحية:

قد نلمس تلك الفروقات الاصطلاحية بين (الابعاد، والسجن، والاعتقال، والإقامة الجبرية، والتغريب، والعزل). ممّا يستوجب تحديدهاللوقوف عندها، وتبيان الفروق بينها؛ لما لها من صلة بموضوعنا بشكل من الأشكال.

ولا تكاد هذه الألفاظ تخرج – مجتمعة – عن موضوعة "التعذيب"، حيث يمثل أبرز وسيلة قمعيةيتعرّض إليها الإنسان، فيلجأ إليها طرف من الأطراف بهدف الانتقام، أو القصاص أو تحقيق العدالة على الأقل.وقد استخدم التعذيب كإجراء قانوني منذ العصور القديمة،مع الإغريق، والرومان، ضد العبيد والأجانب، ليشمل، في

[1]–عبد الوهاب الكيالي:موسوعة السياسة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط. 3 ، 1990 ، ص: 234

[2] – أيمن حسونة: مقال الإقامة الجبرية من باكستان إلى مصر ، جريدة أخبار مصر ، 2013/08/23، موقع HTT.PS//AR.ORG/WIKI

القرنيين الثالث والرابع الميلاديين، طبقات المجتمع الأخرى. وقد استمر استخدامه للحصول على الاعترافات حتى عام 1800م، وازداد استعماله خلال الثورات السياسية في القرن العشرين، وذلك عندما فرض القادة معتقداتهم السياسية، وجعلوها فوق حقوق الإنسان، حتى إنّه ليفوق ما سبقه من القرون التاريخية الماضية في استخدام أساليب التعذيب تطورا وتنوعا يفوق الوصف[1].

في العصر الحديث عارضت الدول، والمنظمات العالمية التعذيب بكل أشكاله وصوره، حيث "تحرم المواثيق الدولية لحقوق الإنسان ممارسة التعذيب بشكل قاطع ... إذ لم يعد مقصورا على الأذى الجسدي فحسب، بل شمل الأذى النفسي أو العقلي، الذي يتم إلحاقه عمدا بمن حجزت حريته، سواء عن طريق التخويف أو التهديد، أو العزل الكامل عن التواصل مع الآخرين، مع العالم الخارجي أو الاحتجاز في أماكن تفتقر إلى المعايير الصحية الدنيا، وغير ذلك من ضروب التعذيب العقلي أو النفسي للمحتجز"[2].

ومعنى هذا:أنّ مظاهر التعذيب تختلف من المادي إلى المعنوي، باختلاف أنواع العقوبات، وتعدّد مظاهر الأسْر، حيث تتجلّى أشكاله في:

الإبعاد (النفي):

وهو من "العقوبات الجنائية السياسية، ويعني إخراج المحكوم عليه من البلاد بصرف النظر عن جنسيته لمدة تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس عشرة سنة"[3].ولئن كان الأبعاد لا يشترط فيه حجز المحكوم عليه، ووضعه في مكان مخصص لذلك، فإنه يمنعه من حق العودة إلى الوطن، ومن ثم، يجد المنفي نفسه – لا محالة – في مواجهة أقسى أنواع التعذيب ألا وهو الحرمان من الأوطان.

السَجن :

والسِجن "مؤسسة لحجز ومعاقبة المجرمين، والسجون تعاقب المجرمين بتقييد حريتهم بدرجة كبيرة، إذالسجون – على سبيل المثال – تحدّد أين يذهب النزلاء، وماذا يعملون، ومع من يجتمعون، ويقضي السجناء في السجن فترة تتفاوت من بضعة أشهر إلى بقية أعمارهم"[4].وعلى هذا الأساس،فإنّ السجن يحد من حرية الفرد، ويمنعه من التمتع بحقوقه المدنية والسياسية.

---

[1]– ينظر : الموسوعة العربية العالمية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية ، ط2 ، 1999، 2: 494

[2]– أظين خالد عبد الرحمان، ضمانات حقوق الانسان في ظل قانون الطوارئ، دار الحامد، عمان، الاردن، ط.1، 2009 ، ص:149-150

[3]– سمير عالية: أصول قانون العقوبات، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1994 ، ص: 426

[4]– الموسوعة العربية العالمية: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط.2 ، 1999، 2: 179

الاعتقال:

ويختلف المعتقل عن السجن، ويطلق على كل ما يجمع فيه الناس، وتقيّد حريتهم فيه، حيث يساقون إليه نتيجة لفوضى طارئة أو لثورة قائمة؛ولا يتعرّض من في المعتقل للمحاكمة.

وتختلف حياة المعتقلين باختلاف الإدارة التي تسيرهم،فلا يخضعون للباس معين، كما في السجن، ويتمتعون ببعض الحريات الداخلية، بالاطلاع على الصحف، وبالسماع للإذاعة، وبالتنقل في المراقد، والتفسّح في الفناء، وبممارسة الرياضة، وبالتعلم الفردي والجماعي[1].

الإقامة الجبرية:

ويمكنناتمييز الإقامة الجبرية عما سبقها من أشكال الأسر بكونها:" إجراءً وقائيا تتّخذه أجهزة الأمن بحق شخص، تعتبره خطرا على النظام العام، ويقضي هذا الإجراء بإقامة الشخص في مكان تحدّده السلطات الحكومية، مع إخضاعه إلى مراقبة تحدّ من حريته في التنقل"[2].

وفي ضوء ما سبق، نستنتج أنّ الأسير، تحت نطاق أي شكل من أشكال الأسر (النفي، السجن، الاعتقال، الإقامة الجبرية)، يجد نفسه في عزلة عن الأهل والوطن، ومن ثم، يعيش حالة اغتراب حقيقية، بل إن مظاهر الأسر المذكورة هي من أهم أسباب الشعور بالعزلة والاغتراب،إن لم تكن هي المحيط الذي يتكاثف فيه الإحساس بهما ويطغى، ولكن،باختلاف في الدرجة. ويمكن أن نقف على دلالتهما فيما يلي:

أولا: الاغتراب:

مصدر الكلمة لاتيني،ويعنى: فقدان الذات المميزة، والاغتراب عند العرب: ترك العشيرة والوطن. ومفهوم الاغتراب يحتلّ موقعا مركزيا في الفلسفة الغربية،وفي الفلسفة الألمانية خاصة (عند هيجل وفيورباخ)،حيث مصدره عندهم ديني".[3]

---

[1]- ينظر : محمد الطاهر عزوي: ذكريات المعتقلين ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ، الجزائر ، 1996،ص13

[2]- أسعد مفرج ولجنة من الباحثين: القاموس السياسي ، دار النشر والتوزيع nobilis ،2006 ، 22:49

[3]- ينظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط3 ، 1990 ، ص216

أما عند كارل ماركس " فللاغتراب صور شتى منها: الاغتراب السياسي، وفيه يصبح الفرد، تحت تأثير الطاغية،مجرد وسيلة ولعبة لقوة خارجة عنه، ومنها: الاغتراب الاجتماعي، وفيه ينقسم المجتمع إلى طوائف وطبقات، حيث تخضع الأغلبية فيه للأقلية، أما الاغتراب الاقتصادي: ففيه تسود الرأسمالية، وتستولي طبقة خاصة على وسائل الإنتاج جميعها"[1].فعلاوة على الاغتراب الناتج عن تحوله إلى سلعة؛ بحكم الاستغلال الرأسمالي – كما هو الحال في الغرب الصناعي – هناك الاغتراب والقهر الجماعي الناتج عن الخضوع الشامل للمستعمر وتعاليه العنصري،واحتلاله الثقافي،وسحقه للشخصية الحضارية ولحرية "الأهالي"، وإنسانيتهم من جميع الوجوه، وبالإمكان تسمية هذا النوع من الاغتراب بـ "الاغتراب الشامل"[2].

ثانيا: العزلة:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، يسعى – دائما – إلى التواصل مع الآخرين بشتى السبل، لكن في بعض الأحيان، يأتي مرض العزلة الاجتماعية ليكسر هذه العلاقة بالآخرين. فقد تكون هذه العزلة عابرة؛ سرعان ما تزول، لكن، في غالب الأحيان تكون إجبارية يظل فيها الشخص سجينا في قوقعته من دون أي لقاء مع أي شخص ، وهنا تصبح العزلة مشكلة ذات أبعاد سلبية لأنها تهدد الوحدة الصحية والنفسية[3]، كونها عزلة عن المجتمع.

ومن مساوئ العزلة الاجتماعية: شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة، والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم، كما يصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع ، والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره[4].وعلى هذا الأساس ينظر إلى العزلة الاجتماعية باعتبارها بعدا من أبعاد الاغتراب ، والشخص الذي يعيش حالة عزلة واغتراب هو دوما في انشطار عن ذاته ومجتمعه.

---

[1]– عبد اللطيف محمد خليفة ، دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، 2003 ، ص30

[2] – ينظر: عبد الوهاب الكيالي واخرون ، موسوعة السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط3 ، 1990 ، ص216-217

[3]– مقال ، العزلة الاجتماعية تنهش العقل والجسم ، الجمعة 2016/10/14 موقع –www.alhayat com.article

[4]– عبد اللطيف محمد خليفة ، دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، 2003 ، ص39

الإقامة الجبرية وتاريخ قانون العقوبات:

لا يمكن لأي مجتمع من المجتمعات أن يتأسس إلا من خلال أفراده، ولكن اختلاف وتصادم العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين هؤلاء الأفراد يؤدي بالضرورة إلى إيجاد قوانين تحكم الأفراد وتنظم التواصل بينهم.

فإذا ما أردنا أن نطلع على تطور قانون العقوبات فإننا نجده قد مر بالمراحل الآتية:

مرحلة الانتقام الفردي:

في العصور البائدة كان انتقام الفرد هو السائد، والشخص يتولى عقاب الجاني بنفسه أو بمؤازرة أفراد أسرته، فلم توجد سلطات مختصة تعاقب الجاني.

مرحلة العقد الاجتماعي:

في هذه المرحلة اتفق الأفراد على أن تقوم العشيرة بتوقيع العقوبة على الجاني ، ووضع بذلك حد لحق الفرد في الانتقام.واعتبرت العقوبة اجتماعية ، بمعنى إن الجريمة اعتداء على الجماعة برمتها كما أدخلت مؤسسة جديدة في العقوبة، وهي الدية (التعويض).

مرحلة تكوين الدول:

بعد أن ظهرت سلطة الدولة ، لجأت هذه الأخيرة إلى إصدار قوانين نظمت فيها العقوبة، بأن قصرت توقيعها على الجاني وحده ، وهو ما يعرف بفكرة القصاص، نجد ذلك في التشريعات الكلدانية والعبرية واليونانية وفي الكتبالسماوية، وأصبح حق العقاب تمارسه الدولة بمفردها.ولقد امتدت هذه المرحلة إلى غاية أواخر القرن 18 وبقي هدف العقوبة هو الانتقام[1].

مرحلة تطور قانون العقوبات أواخر ق18:

ظلت تلك الأفكار والمبادئ سائدة حتى مطلع القرن 18، فإذا بها تحت تأثير أفكار روسو، بيكاريا، ومونتسكيو تنزع إلى البحث عن أساس آخر للعقوبة، وهو التأديب والإصلاح[2]، "حيث بدأ تطبيق أنظمة الحجز

[1] – ينظر : بن شيخ لحسين: " مبادئ القانون الجزائي العام " ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص(15-16)

[2]– ينظر : المرجع نفسه ، ص17

الانفرادي والعمل الجماعي واستمرت الجهود الإصلاحية في القرن 19، وأدى تأثير الأفكار البريطانية إلى تطبيق نظام الإفراج تحت المراقبة"[1].

الإقامة الجبرية وقانون العقوبات الجزائري:

لا يمكننا أن نتحدث عن قانون العقوبات الجزائري دون العودة إلى فترة من أقسى الفترات التي مرت بها الجزائر ألا وهي الاحتلال ، ذلك إن السلطات الاستعمارية قد عملت جاهدة على فرض رقابتها وقمعها بشتى الوسائل بغية تحقيق أطماعها وتحطيم المقاومة.

مرحلة ما قبل 1962:لقد طبقت فرنسا على الجزائر بعد دخولها أنظمة خاصة بالعقوبات لا مثيل لها ، ومن هذه العقوبات نجد عقوبة الغرامة الجماعية، التي كانت توقع على كل سكان الدوار أو القبيلة في حالة التمرد ضد السلطات الفرنسية، وكذا عقوبة الاعتقال التي توقع على الجزائريين وعقوبة الوضع تحت الرقابة[2].

فكلما كان هناك تطور للأحداث في الجزائر إلا وسايرته جملة من القوانين الفرنسية والإجراءات ، لعل أهم حدث هز الساحة الوطنية الجزائرية ، وأحدث خللا في النظام العام وأدى إلى تخوف المستعمر من انقلاب ضده هو ثورة التحرير الكبرى ، فلم يكن أمام فرنسا لمواجهته سوى فرض حالة طوارئ.

وفي هذه الحالة يحق للسلطة العسكرية:

- مصادرة الأشخاص وممتلكاتهم
- اعتقال المشبوهين أو إبعادهم
- فرض الإقامة الجبرية على الأشخاص الذين يقومون بنشاطات تشكل خطرا على أمن الدولة وسلامتها
- فرض الرقابة على الصحف والمطبوعات والنشرات المختلفة وجميع وسائل الإعلام بما فيها الإذاعة والتلفزيون والأفلام والمسرحيات[3].

وغيرها من العقوبات الأخرى التي تحد من حريات الأفراد

---

[1]– اسعد مفرج ولجنة من الباحثين: القاموس السياسي ، دار النشر nobilis ، 2006 ، ج،23،ص171

[2] – بن شيخ لحسين " مبادئ القانون الجزائي العام " ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص18

[3] – ينظر : عبد الوهاب الكيالي واخرون ، موسوعة السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط4،2001 ،ج2 ، ص216-155

مرحلة ما بعد 1962:صدر بعد الاستقلال قانون تحت رقم 57.31/62 . ديسمبر 1962 يقضى بتمديد سريان نفاذ التشريع الفرنسي، وبالتالي بقي قانون العقوبات الفرنسي مطبقا على الجزائر إلى غاية 8 جويلية1966 ، وهو تاريخ صدور قانون العقوبات الجزائري[1].

زعماء سياسيين رهن الإقامة الجبرية :

ظلت عقوبة الإقامة الجبرية ترافق الزعماء والسياسيين على مر التاريخ ، لاسيما في ظل الصراعات السياسية والسلطوية ، حيث نجدها فرضت على العديد من الشخصيات العربية والغربية على حد سواء.وقد استخدمت العديد من الدول الإقامة الجبرية كسلاح، لمراقبة وتقييد تحركات المعارضين السياسيين الذين يشكلون خطرا.وأحيانا أخرى يتم فرضها جزافيا من قبل مسؤولين في السلطة كنوع من العقاب النفسي لمنع تواصل الشخص المحكوم عليه مع العالم الخارجي بأي وسيلة.

ففي الجزائر، وفي العهد العثماني، أجبر باي قسنطينة الحاج أحمد (1784-1850م) على الإقامة الجبرية بمدينة الجزائر، تحت رقابة السلطات الفرنسية بعد 18 سنة من الجهاد والمقاومة واستسلامه في جوان 1848[2].

كما نجد في العصر الحديث السياسي فرحات عباس (1899-1985) الذي ترأس أثناء حرب التحرير الحكومة المؤقتة الجزائري فرضت عليه الإقامة الجبرية في نهاية 1963 وبداية 1964م ولم يفرج عنه إلا في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد[3].كما تعرض أول رئيس للجزائر أحمد بن بلة للإقامة الجبرية بعد الاستقلال، بعدما انقلب عليه هواري بومدين سنة 1980م[4].

---

[1] – ابن شيخ لحسين " مبادئ القانون الجزائي العام " ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص18

[2] – ينظر : ابن نعيمة عبد المجيد " موسوعة أعلام الجزائر " 1830-1954 منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ، الجزائر ، 2007 ، ص45

[3]– عبد الوهاب الكيالي " موسوعة السياسة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ط5 ، 2009،ج4 ، ص494

[4] – أيمن حسونة ، مقال الإقامة الجبرية من باكستان إلى مصر ، جريدة أخبار مصر ، 2013/08/23، موقع HTT.PS//AR.ORG/WIKI

ومما لاشك فيه أنّ كل هؤلاء الذين تعرضوا لمثل هذا النوع من العقاب، سواء في منازلهم أو في أماكن بعيدة محددة طالت فيها المدة أو قصرت، قد عاشوا، وعايشوا الحالة النفسية ذاتها في انقطاعهم عن التواصل مع العالم الخارجي بعيدا عن مجتمعاتهم ودون ممارستهم لنشاطهم للحياة بشكل طبيعي.

- ابن منظور: لسان العرب، دار الجيل، بيروت (د. ت. ط)، 5: 162.
- أبو بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتب العربية، بيروت (د. ت. ط)، ص: 557.
- أحمد العابد وآخرون: المعجم العربي الأساسي، تقديم محي الدين صابر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1989)، صص: 1015- 1016.
- عمقوت عمر: موسوعة المصطلحات القانونية وقواعد الشريعة الإسلامية دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر (د.ط) ، 2012 ، ص420
- منذر الشاربي: دراسة قانونية حول الإقامة الجبرية (مقال)، مرصد الحقوق، مارس 2016 ، موقع: WWW.ODL.T.N
- سمير عالية: أصول قانون العقوبات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط.1، 1994، ص: 427.
- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط.3، 1990، ص: 234.
- أيمن حسونة: الإقامة الجبرية (من باكستان إلى مصر) – (مقال)، جريدة أخبار مصر، 2013/08/23، موقع: HTT.PS//AR.ORG/WIKI
- الموسوعة العربية العالمية: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط.2، 1999، 2: 494.
- أظين خالد عبد الرحمان: ضمانات حقوق الانسان في ظل قانون الطوارئ، دار الحامد، عمان، الأردن، ط.1، 2009، صص: 149- 150.
- محمد الطاهر عزوي: ذكريات المعتقلين، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 1996، ص: 13.
- أسعد مفرج، ولجنة من الباحثين: القاموس السياسي، دار النشر والتوزيع (Mobilis)، 2006، 2: 49.
- عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2003، ص: 30
- العزلة الاجتماعية تنهش العقل والجسم، (مقال)، الجمعة 2016/10/14، موقع: www.al hayat-com.article

- ابن شيخ لحسين: مبادئ القانون الجزائي العام، دار هومة، الجزائر، 2005، صص: 15، 16.
- ابن نعيمة عبد المجيد: موسوعة أعلام الجزائر (1830- 1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007، ص: 45.

الفصل الأول

الإقامة الجبرية وتجلياتها في التجربة الأدبية

الفصل الأول

الإقامة الجبرية وتجلياتها في التجربة الأدبية

تمهيد
المنفى في التجربة الأدبية
السجن في التجربة الأدبية
الإقامة الجبرية في التجربة الأدبية
ألف : عند أدباء العرب
باء: في التجربة الشعرية الجزائرية

تمهيد:

إذا كان للمفكرين والمثقفين والأدباء آراؤهم الخاصة التي تبنوها وعبروا عنها على مسار التاريخ الإنساني فإن حرية التعبير لم تكن دائما متاحة لهم، فكثيرا ما اصطدمت تلك الآراء بمن عارضها وحاصرها وقد كان للشعراء والمبدعين بصوتهم المميز النصيب الأكبر من القمع السلطوي والنفي الإجباري والسجن الترهيبي "[1] ، فالسجن والمعتقل ، والمنفى ، والإقامة الجبرية كلها أشكال لتلك المحاصرة ، لكنها بدل أن تقيدهم هيجت قرائحهم كيف لا وهي أبحر يعيش فيها الأديب سنوات من التجربة ، يعاشر فيها معاناة وعذابا وقسوة ، فيلتحم بالمكان التحاما حقيقيا ، لا لشيء إلا لأنه متيقن أنها قناعته وتضحيته أولا وأخيرا ، فتصبح ذاته صابرة تسمو بإيمانها وتتطهر بعذابها.

ويصير الكفاح كفاحا من نوع آخر ، من وراء الأسوار – إنه التحدي الكبير – فهذه الأمكنة وإن اختلفت ، لكل شاعر تجربته الخاصة فيها وإرادته الكبيرة ، ولكن يبقى الهدف واحدا وهو نشدان الحرية ، حرية الخروج من المكان والعودة إلى الأهل وحرية الأوطان.

ويمكننا أن نرصد من هذه الأماكن وتجارب الشعراء مايلي :

المنفى في التجربة الأدبية:

إنّ ارتباط الإنسان بالوطن غريزة راسخ فيه، لا يمكنه الاستغناء عنه، وإن اتّهم الإنسان – في غفلة من غفلاته الشعورية العصيبة – بالتنكّر له، أو الزهد فيه، أو بخيانته، إذ إنّ شعور الانتماء إلى المكان لا يكاد يبارحه، قوّة وضعفا، ووضوحا وخفوتا.

يعيش الأدباء، في اغترابهم أو تغرّبهم، حاملين انتماءهم المكاني في صدورهم، بل على كواهلهم، كيف لا، وهم أصحاب الإحساس المتدفّق، والانفعال الملتهب، والخيال الجامح، واللغة المعبّرة. وقد يعيش الشعراء مبتعدين عن الوطن، أو مبعّدين عنه، يحيون في أثنائها "**محنة قاسية في الغربة، لكن بعدهم عن الوطن يتيح لهم إمكانية أفضل للوعي به، ومعاناته روحيا وفلسفيا. فالغربة كالسجن: مكان شعري يتكاثف فيه الحس، وينشط من خلاله الخيال؛ ليعْبر الحدود الظاهرة، ويتراسل عبر الحلم المجازي مؤلفا وطن الأعماق – الذي لا يبدعه سوى الشعراء الفحول**"[2].

---

[1] – سالم المعوش ، شعر السجون في الادب العربي الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، لبنان ، ط1 ، 2003 (ص287-288)

[2]– ينظر: إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص: 209.

في غربة المنفى، يلتحم الشاعر التحاما حقيقيا مع الوطن؛ ليصبح هاجسا حقيقيا يراوده في كل لحظة وزمن، يحلم بمعانقته، وينتظر العودة إليه بلهفة شديدة، ولا يجد ما ينفّس به كربته، وألمه الداخلي – الذي لا يبرحه – إلا بالغوص في عالم الكتابة، لتناسي البعد والحرمان. فكتابة الشاعر عن وطنه، حتى وهو في منفاه، هو – في حقيقة الأمر – امتداد لوجوده داخله، وحين يحيا الشاعر هذا الوجود في داخله، يتجلى وعيه بفاجعة الوطن، ومأساة المنفى في شعر الغربة[1].

ولأنّ الإحساس بالغربة في المنفى قد ارتبط بالإنسان منذ أقدم العصور، فان التعبير عنه ليس جديدا على الشعر العربي، هذا ما نلاحظه لدى الشعراء الذين أجبروا على الخروج من ديارهم، والابتعاد عن أوطانهم وأهاليهم، سواء أارتبط هذا التعبير بالعصر الجاهلي، أم بالعصور التي تليه.

ففي العصر العباسي – على سبيل المثال – يوقع شاعر بني حمدان (أبو فراس) في أسر الروم مرّات ومرّات، فإذا الأسر يتحوّل إلى طاقة شعرية غزيرة، أنجبت لتاريخ الأدب العربي، والإنساني تلك "الروميات"، عمّقت تجربة الأسر ومعاناة الأسير في بعدها الإنساني متجاوزة نفسية العربي التواقة للحرية والتحرّر، نصادف مظاهرها عند الحمداني في تصويره الدقيق لمعاناة النفس، وتقلّبها "**بين أمواج الرجاء واليأس؛ الرجاء في العودة إلى الوطن، الذي وقّف حياته عليه، واليأس من رؤية هذا الوطن كرة ثانية، وبقائه رهن الأسر والقيد**"[2]. بهذا، عاش الشاعر حالة قلق وصراع بين تحقّق أمله في الرجوع إلى الوطن من عدمه، يزيده حنينه لأمه (في منبج) حرقة واحتراقا:

يا حسرة ، ما أكـــاد أحملها	آخرها مزعج ، وأولهـــــا
عليلة بالشام ، مفـــــــــردة	بات بأيدي العدا معلّلهـا
تمسك أحشاءها على حرق	تطفئها ، والهموم تشعلهـا
إذا اطمأنت، وأين، أو هدأت	عنّت لها ذكرى ؛ تقلقلهـا
تسأل عنا الركبان جاهـــــدة	بأدمع .. ما تكاد تمهلهـا
يا من رأى بحصن خرشنـــــة	أسدَ شرى في القيود أرجلها

[1]– ينظر: إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص: 206

[2] – محمد الصادق عفيفي: النقد التطبيقي والموازنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1978، ص: 299.

يا من رأى لي الدروب شامخة دون لقاء الحبيب أطولهـا[1]

ومن شعراء العصر الحديث في الوطن العربي، نجد الكثير ممن عاش آلام المنفى. نذكر منهم – على سبيل المثال – أحمد شوقي، والبارودي، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ومحمود درويش. فكلّهم ذاق مرارة الاغتراب عن الوطن، فكانت هذه الفترة في حياتهم خصبة غنية بالإبداع الأدبي.

فها هو أمير الشعراء أحمد شوقي يقضي خمس سنوات في منفاه الإسباني بعدما عزل الانجليز خديوي مصر (عباس حلمي) أثناء الحرب الكونية الأولى، حيث كانت هذه المرحلة من أخصب حياته الشعرية عطاء، يتعرّف الأدب العرب خلالها على (أندلسياته) الشهيرة، وعلى سينيته البديعة التي مطلعها:

اختلاف النهار ، والليل ينســـي اذكر لي الصبا ، وأيام أنسـي

وقد تناصّ فيها مع سينية البحتري المشهورة:

صنت نفسي عمّا يدنّس نفسي وترفّعت عن جدا كـــلّ جبس

حيث عبّر فيها عن مواقفه الفكرية من الثقافة الإسلامية وحضارتها بالأندلس، دون أن ينسي تجربة المنفى، وحنينه إلى مصر.

ونصادف شاعر الأردن، مصطفى وهبي صالح التلّ (1899 – 1949) في مناهضته للظلم ومقارعة للاستعمار، والاستبداد، يشير إلى تجربة العزل، والسجن، والمنفى[2]:

فمن سجن إلى منفى ومن منفى إلى غربهْ

ومـــن كـرّ إلى فـــرّ ومن بلوى إلى رهبه

فبي من كلّ معركـــة أثرتُ عُجاجَها ندْبه

[1]– الديوان:

[2]– جهاد شاهر المحالي، مقال الثورة والاغتراب في شعر الشاعر مصطفى وهبي التل (عرار)، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات جامعة مؤتة، الأردن، العدد 6، 1993، مج8، ص14.

والناظر إلى التجربة الأدبية العراقية، يجدها حافلة بشتى صور القمع، وكبت الحريات، "ولعلّ المبدعين العراقيين هم من يتصدرون مبدعي العالم أجمع، من حيث شتاتهم، وآلامهم بابتعادهم عن الوطن مجبرين؛ بسبب ما حلّ بالعراق. فالشاعر العراقي، في المنفى، استطاع أن يكون لسان حال شعبه ووطنه، صنع من قصائده وطنا، لكنه من ورق، وأظهر المزيد من التميز والإبداع في منفاه الإجباري الذي فرض عليه .. فنجد المنفى، والحنين، والبكائية الحادة هي ثلاثية الحزن العراقي الذي سيطر على كتابات الشعراء مما زادها إبداعا وتميزا"[1].

يقول بدر شاكر السياب في قصيدة "غريب على الخليج":

بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبه
غنيت تربتك الحبيبه
ما زلت أضرب مترب القدمين
أشعث في الدروب
تحت الشموس الأجنبيه[2].

واسمعْ إلى (عبد الوهاب البياتي) في قصيدة "عشاق في المنفى"، وهو يقول:

أنا وحيد..
كقطرة المطر العقيم، أنا وحيد..
وهؤلاء؟
مثلي ومثلك يحفرون قبورهم عبر الجدار
مثلي ومثلك، مُقْبلون على انتظار
من لا يعود
وأنا وأنت وهؤلاء
كالعنزة الجرباء افردها القطيع
بلا ربيع أو بيوت
من الشروق إلى الغروب
نبقى ونبقى في انتظار

---

[1] – مقال: شعراء أبدعوا في المنفى، ينظر الموقع:
Omen./slammessage.com/article.aspx ?

[2]– بدر شاكر السياب: الأعمال الكاملة، دار العود، بيروت، 1971، ص: 176

من لا يعود

لا شيء ينبض بالحياة في هذه الجدر البغيضة والدروب[1]

إنّ مثل هذه التجربة التي عرفه شعراء المشرق العربي، ستتكرّر مع شعراء المغربي العربي، ممن تعرّض إلى النفي القسري، أو اختار منفاه بإرادته، حيث يطفو على تراث الجزائر الشعري تجربة الأمير عبد القادر، وهي تجربة من أقوي التجارب الإنسانية، وأكثرها دلالة على قوة الروح الوطنية التي تميّز بها الأمير الجزائري في قلب محنته. ولا أدلّ على هذه الوطنية من عبارته التاريخية يوم سقطت عاصمته المتنقلة في أيد الفرنسيين عام 1843، حين قال: "الآن صرنا أحرارا، متجردين، لا شغل لنا إلا مقارعة الأعداء ومصارعتهم"[2].

هكذا كانت مقاومة الأمير عبد القادر منذ أعلن تحديه للقوات الفرنسية الغازية، وهكذا استمر في نضاله حتى بعد اعتقاله، حيث نفاه الفرنسيون ".. إلى طولون، ثم إلى سجن الأمبواز، أين أمضى فيه مدة الاعتقال، وكان في معتقله الذي لم يسمح له بمغادرته ، كما في مقاومته كبيرا كبيرا ، عصيا عصيا"[3]

كان الأمير بطلا مجاهدا، وأديبا شاعرا، جادت قريحته بالكثير. وفي اغترابه عن الوطن، عاش تجربة الحنين والحزن والشوق، فكلّها عواطف عصفت بقلبه "فضاقت روح الشاعر، في الأسر، حين أخذ يتشوّق إلى أهله، وأصحابه، وأوطانه، لكن المزار بعيد ومحرم..."[4].

ماذا على ساداتنا أهل الوفـــــا	لو أرسلوا طيف الزيارة في خفـا
يترصد الرقباء حتى يغفلـــــوا	ويكون مانع وصلنا ، ليلا ، غفا
ويكون، قبل حلوله، أفْرشتُـــه	خدّي وِطاءً للنعـال وللحفـــا
ويكون بيت نزولهم قلبي، الذي	وحياتهم – من حب غيرهمُ عفا
ضيف له نزل لديّ كرامـــــةً	كبد شواها البعد في جمر الجفـا[5]

[1]– عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995، 1: 150، 151

[2] – مؤسسة الأمير عبد القادر: الامير عبد القادر والقيم الانسانية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص: 223.

[3]– مؤسسة الأمير عبد القادر: الأمير عبد القادر والقيم الانسانية، ص: 229.

[4]– الأميرة بديعة الحسني الجزائري: الامير عبد القادر (حقائق ووثائق)، دار المعرفة، ط. 2، 2008، ص: 315.

[5]– عبد القادر بن محي الدين الجزائري: ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح: زكريا صيام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د. ت. ط)، ص: 237

السجن في التجربة الأدبية :

" هاجس السجن فكرة رئيسية تراود الشاعر على الدوام يحملها بين ثنايا صدره ، قلق دائما عن وضعه هو بالذات ومن الأوضاع العامة المحيطة به ، وتبقى هما يطارده ويقض مضجعه ..

تسكن فكرة السجن فيه لأنه يعلم بحدسه وعقله وإحساسه أنها مصيره ، يتوقعها عقابا لأمثاله ممن نذروا أنفسهم لحمل قضايا مهمة وطنيا و إنسانيا "[1].

ويظهر ذلك واضحا من خلال شعره فيعبر بقلمه عن رؤياه ولما يعيشه في ذلك المكان " ذلك إن الكتابة تبقى عزاء للسجين ، يعوض بها عن أسر الجسد ،في عالم سدت فيه الآفاق إلا أفق النفس المفتوح إلى ما لا نهاية ، ينقش الفكر والموقف على جبهة الزمن ورياحه بعيدا عن عيون السجان ليرسلها أقانيم للصمود الفكري إلى العالم الخارجي"[2].

فإذا ما عدنا إلى شعراء العرب في العصور الأولى نجد الكثير منهم ولأسباب مختلفة قد تعرضوا إلى السجن ، فهذا الشاعر الجاهلي عبد يغوث الحارثي من بين المحاربين الذين وقعوا في الأسر والاعتقال يقول في أسره[3].

أقول وقد شدوا لساني بنسعة ... أمعشرهم تيم أطلقوا من لسانيا

وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم تري قبلي أسيرا يمانيا

ومن الشعراء في العصر العباسي نجد الشاعر أبا الطيب المتنبي زج به في السجن بعد أن قاد تمردا بين الأعراب ضد الوالي وقد قال في ذلك مخاطبا سجنه في أنفة[4].

كن أيها السجن كيف شئت فقد ... وطنت للموت نفس معترف

لوكان سكناي منك منقصة ... لم يكن الدرساكن الصدف

---

[1]- المرجع السابق ، ص530

[2]- المرجع السابق ، ص313

[3]- ينظر : المرجع السابق ، ص41

[4]- ينظر : المرجع السابق ، ص45

وإذا كان الشعراء في الأدب العربي القديم قد عاشوا تجربة السجن وعبروا عنها ، فإن الأمر كذلك في العصر الحديث سواء في المشرق العربي أو في مغربه.

فهذا الشاعر العراقي (أحمد الصافي النجفي)، ذاق مرارة السجن، فجاء شعره، أثناء ذلك، صورة واضحة لتلك المرارة، "والسبب الحقيقي لسجنه هو ثورته على الاستعمار الانجليزي في كلّ شبر وجد فيه البلاد العربية، وتصريحه بالحرب عليه في معظم شعره ... فكان نتاج سجنه ديوانا من الشعر "حصاد السجن"، تركه هدية لكلّ سجين، حيث قال: "إلى كل سجين، ومرشح للسجن في سبيل الحرية والواجب"[1]. يقول أحمد الصافي النجفي:[2]

سجنوني في غرفة قد تعـــالت وأطلّت على فسيح الفنـــــاء

هي سجن، وإن تعالت فسجن قفص لي معلّق في الهـــواء

قبريَ السجن صار قبريَ قبـــر حفروه في الأرض أو في السماء

ويقول – أيضا – حين سجنه الإنجليز، لمّا كان في منفاه، بلبنان، لمّا دخلوها:

سجنت، وقبلي في العلى سجنوا أخي وآمل في العلياء أن يسجنوا الإبنا

إذا لم نورّث تاج مجد وســـــؤدد لأبنائنا طرّا، نورّثهـــــــم سجنا

فهذا محمود درويش الشاعر الفلسطيني – شاعر القضية يسمعنا من أعماق سجنه متحديا السجان بشعره وإحساسه وكلمته[3].

من آخر السجن طارت كفأشعاري تشد أيديكم ريحا على نار

أقول لمحكم الأصفاد حول يدي هذه أساور أشعاري وإصراري

[1]– مقران فصيح: البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكريا وأحمد الصافي النجفي، منشورات بونة للدراسات والنشر، الجزائر، 2008، ص: 15.

[2]– أحمد الصافي النجفي: حصاد السجن، مكتبة المعارف، بيروت، ط.1، 1983، ص: 283.

[3] –ينظر : سالم المعوش ، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، ط1 ، 2003 ، ص289

من حجم مجدكم نقلي وقيد يدي في طول عمركم المجدول بالعار

في اليوم أكبر عاما في هوى وطني فعانقوني عناق الريح للنار

وفي الجزائر ، شاعر النضال السياسي والثورة المسلحة ، مفدي زكريا ، أحد أبرز الأعلام الجزائريين الذين ذاقوا مرارة السجن وضحوا بأمنهم وحريتهم في سبيل الوطن." حيث قضى سبع سنوات متراوحة على خمس مرات ، مابين 1937 و1959 ، وكان لها الأثر البالغ في بلورة شخصية الثورية ، بحيث ألهب التعذيب شاعريته ، وفجر في ذاته مكامن الإبداع ،كما جذر في أعماقه مفهوم الوطنية في أسمى أبعادها ، ومنحه زمنا تاريخيا مكثفا ليتفرغ للتأمل والقراءة والكتابة ، فكان حصاد السجن أناشيد وطنية خالدة وروائع شعرية ملحمية ... ومن ثم فهو يعده مكانا ملحميا وقدسيا " قلعة ومحرابا " ،كما جاء في نشيد بربروس"[1].

يا ليل خيم واعصفي يا رياح يا أفق دمدم، واعصفي يا رعود

يا دم شرشر، وانحني يا جراح يا غل صرصر واحدقي يا قيود

يا سجن ازخر بجنود الكفاح فأنت يا سجن طريق الخلود

أنت محراب الضحايا في حناياك اسود

أنت أنت أنت يا بربروس[2]

هكذا ارتفع صوت مفدي زكريا من محرابه كاسرا سجنه بل غدا سجنه سرا، زاده قوة صبر وتحديا وإرادة قوية لفداء الوطن.

الإقامة الجبرية في التجربة الأدبية

لطالما تميز الأدباء عن غيرهم من بني البشر ، بقدرتهم على التعبير عن مكنوناتهم وعما يجول في خواطرهم ومن هنا تجلت مقاومتهم للحياة في كل ظروفها معبرين بذلك عن أرائهم حول أوساطهم ومجتمعاتهم ساعين إلى الصالح العام فيها ، ومفصحين عن مشاعرهم في عزلتهم ومعاناتهم الفردية ، ومن ثم تعددت دوافعهم وترجمت في أعمال أدبية يسعون من خلالها إلى تسجيل تجاربهم.

[1] – ابراهيم رماني ، المدينة في الشعر العربي، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ، ص133

[2]– مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص88

وبحكم تعامل الأدباء والكتاب بصفة عامة مع القضايا والمسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مجتمعهم ومحاولة تغيير الأوضاع ، فإنهم يجدون أنفسهم في علاقة تصادم مع السلطة الراصدة لتحركاتهم المتتبعة لخطواتهم فتحول دون وصولهم إلى أهدافهم ولا يكون مصيرهم إلا السجن أو النفي أو الإقامة الجبرية.

" فالمثقف من حيث هو درجة وعي أعلى ، يمتلك خاصية التفكير والحلم بالتغيير فهو بالضرورة في الموقع المعارض لكل التشوهات السائدة ، الاستغلال ، التخلف ، الاستلاب ، القمع "[1].

والإقامة الجبرية صورة من صور التضييق على هؤلاء الأدباء والمثقفين يجدون أنفسهم تحت قيودها " يعانون من الأزمة الوجدانية الخانقة التي تضغط على دائرة إبداعهم"[2].

إلا أنهم يقابلون ذلك بالصمود والمقاومة في محاولة للتكيف مع هذا الوضع السائد وهذا ما تعكسه أعمالهم الأدبية على مسار التاريخ الإنساني.

ألف: عند أدباء العرب :

لإن كان الزعماء السياسيون والناشطون في مجال السياسة والدولة قد عانوا من الخضوع الإقامة الجبرية بسبب أفكارهم المعارضة للسلطة أو لمصالحها فإن الأدباء والعلماء والصوفيين هم بدورهم أكثر عرضة لها.

" فكل من لاحت عليه مخايل الزعامة السياسية أو الصوفية تعرض للمطاردة أو السجن أو الاغتيال خاصة إذا كانت له صلة بالزعامات والأطراف المناوئة لوجود الحكم أو لسياسته"[3].

ومن الشعراء الذين خضعوا للإقامة الجبرية نتيجة خدمتهم لقضايا الجماهير ومقارعة الاستعمار الشاعر العراقي محمد صالح بحر العلوم (1908-1992) الذي لم يتوقف نشاطه السياسي والوطني ، طوال عقود الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات من القرن 20 فاشترك في انتفاضات العراق مما عرضه للسجن والاعتقال و الإقامة الجبرية والمراقبة حتى قيام ثورة تموز 1958م وإنهاء الحكم الملكي فيه .

فيقول واصفا نفسه[4]:

---

[1]- نزيه أبو نضال ، أدب السجون ، دار الحداثة ، لبنان ، 1981 ، ص14

[2] - سالم المعوش ، شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص100

[3] -منجي أبو سنية وآخرون ، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 2005 ، مج4 ، ص456

[4]- المرجع نفسه ، ص189-190

صورت نفسي بنفسي وهي عالقة بالخير والخير يجريها بأنفاسي

فما اهتديت لشيء أستعين به على الطغاة سوى الإيمان بالناس

ولعل من أروع قصائده التي لاقت إعجابا كبيرا قصيدة " أين حقي " وهي ضد الاضطهاد والظلم والتهميش.

يقول[1]:

رحت أستفسر من عقلي وهل يدرك عقلي

محنة الكون التي استعصت على العالم قبلي

ألا جل الكون أسعى أنا أم يسعى لأجلي

وإذا كان لكل من فيه حق –أين حقي؟

فأجاب العقل في لهجة شكاك محاذر

أنا في رأسك محفوف بأنواع المخاطر

تطلب العدل وقانون بني جنسك حائر

إن يكن عدلا فسله عن لساني أين حقي

لم يؤثر بيقيني ما أقاسي من شجوني

فشجوني هي من أسباب تثبيت يقيني

ولتكن دنياي ما بين اعتقال وسجون

وليكن آخر أنفاسي منها أين حقي

وغير بعيد عن العراق نجد أديبا آخر في سوريا وهو شكيب الجابوري (1912-1996م) ، الذي لم ينقطع عن النضال الوطني ، فقد ترأس مؤتمر الشباب العربي للدعاية للقضية السورية والقضية الفلسطينية عام

[1]- مجلة حوار المتمدن ، موقع WWW.ACHEWAR.ORG/DEBAT/SHOW.ART.asp

1935 وقاد مظاهرة طلابية ضد الفرنسيين عام 1941م نتيجة لذلك فرضت عليه الإقامة الجبرية عندما دخل الانجليز سوريا[1].

ومن الشعراء الذين حملوا لواء القضية الفلسطينية وارتبطت أسماؤهم بالنضال والمقاومة محمود درويش (1942-2008)" وبسبب معتقداته السياسية تعرض للمضايقة والقمع المتواصل على أيدي السلطات الإسرائيلية ، وقد سجن وحكم عليه الإقامة الجبرية في منزله"[2].

وعلى الرغم من ذلك ظلت عزيمة الشاعر قوية وصموده أقوى تحت وطأة الإقامة الجبرية ، مما جعله يثبت وجوده فقد أصبحت بالنسبة إليه جزءا من حياته إذ يقول :

" الكثيرون من أصدقائي يتألمون من أجلي ...هذه الملاحقات ...الاعتقالات وأوامر الإقامة الجبرية التي تحدد حرية تجولي في وطني ، أصبحت جزءا من حياتي اليومية ، ولكنني أنظر إليها باستهتار يكاد يكون خبيثا ، لست متوترا أو لست مندهشا، أجلس في غرفتي كل مساء ويطربني أن أرتبط بالشمس، لأني أمنع من مغادرة البيت بعد غروب الشمس ، منحوني شرفا كبيرا عندما ربطوا خطواتي بالشمس"[3].

وما عبر عنه محمود درويش في قوله هذا يظهر جليا من خلال قصائده حيث يقول :

وحيدا أصنع القهوة

وحيدا أشرب القهوة

فأخسر من حياتي

أخسر النشوة

رفاقي ها هنا المصباح والأشعار ، والوحدة

وبعض سجائر ..وجرائد كالليل مسودة

---

[1] – منجي أبو سنية وآخرون ، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 2005 ، مج5 ، ص20-21

[2]– عباس صادق ، أمراء الشعر العربي ، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن ، عمان ، ط3 ، 2009، ص390

[3] – هاني الخير ، محمود درويش " رحلة عمر في دروب الشعر ، دار قليتس للنشر والتوزيع ، المدية ، الجزائر ، ط1 ، 2008، ص14

ويعد سميح القاسم واحدا من أبرز شعراء فلسطين المبدعين وأحد الناشطين السياسيين " سجن أكثر من مرة كما وضع رهن الإقامة الجبرية بسبب أشعاره ومواقفه السياسية"[1].

تحدث في شعره عن الضجر والسجن والاحتلال والمقاومة بروح ثائرة

يقول في قصيدة له بعنوان " الخفافيش".

الخفافيش على نافذتي

تمتص صوتي

الخفافيش على مدخل بيتي

والخفافيش وراء الصحف

في بعض الزوايا

تنقص خطواتي

والتفاتي

والخفافيش على المقعد

في الشارع الخلفي

وعلى واجهة الكتب وسيقان الصبايا

كيف دارت نظراتي

الخفافيش على شرفة جاري

والخفافيش جهاز، خبئ في جدار والخفافيش على وشك انتحار

إنني أحفر دربا للنهار

[1]–عباس صادق ، أمراء الشعر العربي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط3 ، 2009م ، ص249

من خلال ما سبق يتضح لنا أن سميح القاسم ومحمود درويش وغيرهما من الشعراء والأدباء الذين عانوا من الإقامة الجبرية قد استطاعوا بسلاح الكلمة أن يكسروا قيدها فكانت دافعا لشحن نفوسهم وكان إبداعهم تنفيسا عن وحدتهم واغترابهم.

باء: في التجربة الشعرية الجزائرية

ما من أمة ظهرت فيها بوادر الاستعمار ، فأدركت ضرورة محاربة الجهل ، إلا ووجدت نفسها أمام طغيان المحتل وظلمه وجبروته على الحقوق وهذا هو شأن الجزائر حين حاول الاستعمار طمس الهوية الوطنية وسلط على الشعب الجزائري عامة والمثقفين خاصة أشد أنواع العقوبات " فقد مس الجزائريون في مقدساتهم ومصالحهم العامة على اختلافها ، من دينية ، وثقافية ، وسياسية ، واقتصادية "[1].

فكان لكل ذلك أثره وانعكاسه من خلال ردات الفعل العنيفة المتمثلة في الثورات الملتهبة في شتى أنحاء الوطن.

" لقد كان للمواجهة العنيفة الدائمة ، بين المواطن والدخيل ، في صورة ثورات ، لا يهدأ لها نفس ، أبعاد اجتماعية قائمة ، تنبع من الفشل الذي تمنى به هذه الثورات ، أمام القوة الغاشمة ، وما ينتج عن هذا الفشل من ضراوة المطاردة ، وتلون المصير بالمواطن ، بين تشرد وراء الحدود ... وانطوائية وراء القضبان ، فتنتهي الثورة ، وأصداؤها لانهائية ، ولا تكاد تخف هذه الأصداء ، حتى تفجر الحفيظة ثورة أخرى ،فإذا المأساة دماء وأشلاء وسجون ومعتقلات ونفي وتشريد على مدى الاحتلال"[2].

ولقد كان العلماء والأدباء والكتاب الجزائريون أكثر عرضة للاضطهاد والحصار والإقامة الجبرية باعتبارها تنتهك حرية الأشخاص كانت أبرز العقوبات التي عانى منها هؤلاء ، لاسيما في ظل قانون الطوارئ الذي فرضته الإدارة الاستعمارية في الجزائر.

[1] – عبد المالك مرتاض " فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954م ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1983 ، ص11

[2]– صالح خرفي " الشعر الجزائري " الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1970 ، ص16

" ففي آذار ، مارس 1955م رد المجلس الوطني الفرنسي على عمليات الثوار بإعلان حالة الطوارئ في الجزائر التي تخوله ممارسة إجراءات النفي و الإقامة الجبرية وإغلاق المحلات العامة ومصادرة الممتلكات وكل ما يسهل القضاء على الثورة"[1].

هذا القانون كان الهدف منه خنق الحريات والإبداع وتغييب الرأي وإسكات صوت الحق ، ذلك الصوت الذي صرحت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 5 ماي 1931م برئاسة عبد الحميد بن باديس نتيجة جهود .....سابقة –بحكم الأوضاع الاستعمارية السائدة أصبحت مرتبطة بقضايا سياسية وطنية ، فضلا عن أهدافها الدينية الإصلاحية " فهي دون سواها مهدت السبيل وأزالت العراقيل وقضت على الخرافات والأباطيل والتدجيل وهيأت الأمة لقبول الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي"[2].

ومن هنا وجدت جمعية العلماء نفسها في مواجهة السلطات الاستعمارية إذ " لم تفلت من الاضطهاد الذي كان الاستعمار الفرنسي يصبه كالجمر على الهيئات الوطنية في الجزائر.

وقد كان هذا الاضطهاد يختلف باختلاف الظروف والأحوال ، ولكنه كان قائما على رؤوس الوطنيين يقفوهم حيث طعنوا أو أقاموا"[3].

وكانت نتيجة ذلك تأثر الحياة الفكرية والثقافية رغم المقاومة الشرسة لجمعية العلماء ، فهذه جريدة البصائر " توقفت عن الصدور في 6 أبريل 1956م وذلك بعد أن وقع التنكيل بكثير من القائمين عليها والذين كانوا يكتبون فيها ، وذلك بعد أن التحد كثير منهم إلى الأقطار العربية مشرقا ومغربا ، مثل محمد البشير الإبراهيمي وأبي محمد أحمد توفيق المدني ، وحمزة بوكوشة وعلي مرحوم ، ومحمد خير الدين في حين اغتال الفرنسيون بعد الاختطاف العربي التبسي ، وأحمد رضا حوحو وعبد الكريم العقون والربيع بوشامة ، من حيث وضعوا محمد العيد تحت الإقامة الجبرية"[4].

---

[1]– عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، المركز العربي للدراسات النشر ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 2001 ، ج2 ، ص189-190

[2] –جريدة البصائر " حمزة بوكوشة " مقال جمعية العلماء المسلمين في سنتها العشرين " العدد 136 -170 (1951-1958) ، دار الغرب الإسلامي ، ص147

[3] – عبد المالك مرتاض ، فنون النثر الأدبي في الجزائر ، 1931-1954 ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص17

[4] – عبد المالك مرتاض ، " أدب المقاومة الوطنية في الجزائر دار هومة ، الجزائر ، 2009 ، ج2، ص(258-259)

فالحصار الفكري الذي فرض على الكتاب والأدباء الجزائريين كان الهدف من وراءه منعهم من أداء دورهم الكفاحي لتوعية شعبهم .

حين الكلام عن الإقامة الجبرية يمكننا أن نذكر من بين الذين تعرضوا إليها عبد الحميد بن باديس (1889-1940) العالم المصلح ، مصدر جريدة الانتقام المنتقد عام 1925م ، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين عام 1931م ، فعند اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939م ، أوقف مجلة الشهاب وأوقفت الجمعية جريدة البصائر لكي لا يضطر إلى كتابه ما يؤيد السياسة الفرنسية ، وطلب من أعضاء الجمعية أن يمتنعوا عن الإدلاء بأي تصريح في أي وسيلة من وسائل الصحافة ، ما أدى بالمستعمر إلى فرض الإقامة الجبرية عليه في مدينة قسنطينة[1].

وغير بعيد عن عبد الحميد ابن باديس ، نجد محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965) ، الخطيب المفوه والكاتب البليغ والذي تولى رئاسة جمعية العلماء بعد وفاته وأحد رجال الإصلاح بالجزائر " قد جرب صنوفا من البلاء كالسجن والنفي و الإقامة الجبرية "[2].

فتصدى بسلاح الكلمة لمواجهة المحتل في الأوطان العربية وليس في الجزائر فحسب ، يقول :[3]

سكت ، فقالوا : هدنه من مسالم — وقلت فقالوا : ثورة من محارب

وبين اختلاف النطق والسكت للنهى — مجال ظنون واشتباه مسارب

وما أنا إلا البحر : يلقاك ساكنا — ويلقاك جياشا مهمول الغوارب

وما في سكون البحر منجاة راسب — وما في ارتجاج البحر عصمة سارب

ومن رجال الإصلاح الذين كان أغلب وقتهم ينقضي في تكوين الرجال ، والاعتناء بمشاكل المجتمع ، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض (1899-1981) أحد أبرز المشاركين في تأسيس جمعية العلماء المسلمين ،

[1] – رابح خدوسي وآخرون " موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2014 ، ج1 ، ص(93-94)

[2]– توفيق عمات "قيسات من شخصية الإمام محمد البشير الإبراهيمي " مطبعة رويغي ، ط1 ، 2010 ، (ص45-46)

[3]– المرجع السابق ، ص151

أسس كذلك جمعية الحياة بالقرارة سنة 1937م ، وفي سنة 1940م حكمت عليه الإدارة الاستعمارية بالإقامة الجبرية داخل القرارة لا يبرحها لمدة أربع سنوات[1].

ونال الشاعر محمد العيد آل خليفة (1904-1979) ما نال سائر رفقائه من عذاب ، قبل الثورة وبعدها ، تعرض كثيرا للبحث والتفتيش البوليسي ، والتهديد والإنذار من قبل الإداريين الفرنسيين ولما اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954م ، ألقي القبض عليه بعد إغلاق المدرسة العربية الحرة وزج به في السجن ، ثم أطلق صراحة بعد المحاكمة ، وغادر عين مليلة بعدئذ إلى بسكرة حيث ألزم بالإقامة الجبرية وحرم من حق حرية الاجتماع ، وطوق برقابة شديدة ، حتى انتصرت الجزائر سنة 1962م، وهكذا ظل شاعرنا رهين محبسه بين جدران بيته ،معزولا عن المجتمع طوال سنوات حرب التحرير[2].

وهذا ما نجده بارزا حينما نتصفح ديوانه فقد عبر عن ترصد حركاته ومراقبته الشديدة من قبل سلطات الاحتلال.يقول في قصيدته " رفاق الخيرة"[3]:

إن للناس أنفسا ضاربات على الضرر

وعيونا رقيبة شره تقذف الشرر

فانج من كيدها وكن من آذها على حذر

هكذا كان الاحتلال يسلط الضغط والمراقبة الشديدة على كل جزائري، بل إن هذه السياسة ركزت أكثر على المناضلين والثوار والوطنيين " فلقد كان الاستعمار الفرنسي يلقي القبض على كل شخص متهم بالوطنية ، وقد أصدر قانونا خاصا بهذا الشأن يحمل رقم 80 في ربيع 1955 يخول للسلطات الاستعمارية إلقاء القبض على كل فرد " مشبوه " بكونه من الثوار أو المتعاونين ...

والشاعر أحمد الطيب معاش يصور ظاهرة إلقاء القبض على الوطنيين المشبوهين .. وذلك من خلال قصيدته " مشبوه " التي نشرت بجريدة " البصائر " بتاريخ أول افريل 1955 وضمنها ديوانه " التراويح وأغاني الخيام"[4]:

---

[1]- المنجي بوسنينة ، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ، دار الجيل ، بيروت ، 2005 ، مج4 ، ص331-332

[2]- حسن فتح الباب " محمد العيد أل خليفة شاعر الجزائر " ، دار المصرية اللبنانية ،ط1 ، 2002 ، ص53

[3]- محمد العيد أل خليفة "الديوان " المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2010 ، ص132

[4]- بلقاسم بن عبد الله ، الأدب الجزائري وملحة الثورة ، منشورات الحضارة الجزائر ،ط2 ، 2013 ، ص77

قالو خذوه فإنه مشبوه

وأموا له في البيت فانتهبوه

ماناله بالكدح قد سلبوه هذا وإذا تأبى للردى رهبوه

لن يرحموه .. فإنه مشبوه

ساقوه للبلاد حيث يعذب

شر العذاب لأجل شر الاغتراب

وإذا كان محمد العيد آل خليفة، والبشير الإبراهيمي، وغيرهما من رواد الإصلاح في الجزائر، قد تعرضوا للإقامة الجبرية في فترة الاستعمار، فلكونهم مناضلين من أجل تحرّر شعبهم، وإننا لنجد أنّ فترة الاستقلال قد شهدت هي الأخرى، تعرّض أدباء ومفكرين ومثقفين جزائريين لهذه العقوبة، لأسباب مختلفة، أوّلها حداثة العهد بالاستقلال، والحيرة التي انتابت السياسيين بعد انسحاب المستعمر، مخلفا فراغا إداريا، وقانونيا أربك الحكومة المؤقتة، يضاف إليها تلك الحسابات الضيّقة التي أضمرها السياسيون والعسكريون، بنيّة مخلصة مرّات، ونيّة مغرضة مرات، والاختلاف في وجهات النظر، فكان السجن، والنفي والإقامة الجبرية إحدى الوسائل التي انتهجها ساسة تلك المرحلة.

من عينات تلك المرحلة، نذكر عبد اللطيف السلطاني (1902-1984) عالم مصلح ومؤلف ومناضل عمل أستاذا بمعهد ابن باديس بمدينة قسنطينة عام 1948م.ألقي القبض عليه ست مرات ، تعرض خلالها للحبس والاستنطاق والتهديد ، بعد استقلال عاد إلى التعليم حتى أحيل على التقاعد سنة 1974م ، عارض سياسة حكم الرئيسين : أحمد بن بلة وهواري بومدين ، فوضع تحت الإقامة الجبرية إلى غاية وفاته بمنزله بالقبة بالعاصمة يوم 11 أفريل سنة 1984م[1].

ونذكر كذلك الفرفاري محمد خير الدين (1902-1993) عالم ورجل سياسي والعضو البارز في جمعية العلماء ، في عام 1957م أختير عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، وبقي عضوا فيه إلى غاية

[1] – رابح خدوسي " موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2014 ، ج2 ، ص(152-153)

الاستقلال ، حيث أنتخب عضوا في المجلس الوطني أول برلمان جزائري ، عارض سياسة بومدين ففرضت عليه الإقامة الجبرية في مارس 1976م ، فاستغل هذه الفترة لكتابة مذكراته الشخصية وانقطع عن السياسة[1].

ومن العلماء الأجلاء أحمد سحنون (1907-2003) الذي واكب حركة الإمام عبد الحميد بن باديس الإصلاحية ، فلم ينقطع عن نظم الشعر حتى وهو داخل المعتقل ، فعاش فترات امتحان صعبة نظرا لمواقفه الصلبة في المطالبة للتطبيق السليم للمبادئ الإسلامية[2].

يقول في قصيدة " سعيدة ابنتي " وهو رهن الإقامة الجبرية بمنزله[3]:

سعيدة عادت لي بكل كيانها بنبل محياها وصدق حنانها

وقد رجها الخطب الذي لم يكن له شبيه ولم تعرفه دنيا جنانها

أيحبس دنيا الخير باغ مسلط وتطلق دنيا الشر في عنفوانها ؟

ويحبس " سحنون " أبوها بداره وكان أبوها آخذا بعنانها

رغم ذلك فإن هذه المعاناة التي يعيشها الشاعر داخل إقامته الجبرية بعيدا عن أهله، لم تمنعه من تقاسم الأحاسيس والمشاعر مع رفقائه الآخرين ، الذين كانوا يعانون مثله محنة الأسر.

" فهاهو يتعاطف مع الشيخ " عبد اللطيف سلطاني وهو رهن الإقامة الجبرية بمنزله " بالقبة " عندما أجرى عملية جراحية وكان لا ينام من شدة الآلام[4]:

أأنام ولي أخ لا ينام من جراحاته التي لا تنام ؟

فرغم أنهما على أرض وطن واحد وإحساسهما مشترك إلا أنهما متباعدان

فالشاعر أحمد سحنون " شعر بآلام الغربة وعذاب الحرمان من وطنه وهو على أديمه وتحت سمائه ، وكايد لوعة الفراق والشوق والحنين إلى أحبائه وأبناء بلده وهو قريب منهم ، فأي عذاب لقلبه الذي يجيش

---

[1]- المرجع نفسه (ص374-375)

[2] - المرجع انفسه (ص128-129)

[3]- أحمد سحنون " الديوان الثاني " منشورات الحبر ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، ص183

[4] - ينظر : أحمد سحنون ، الديوان الثاني ، منشورات الحبر ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، ص220

بالحب الخالص والوفاء النادر لوطنه؟ وأي شقاء لنفسه التي تفيض بالمحبة والحنان والرحمة لأبناء بلده؟"[1].هاهو يقول في قصيدة عنوانها " العيد الحزين"[2]:

يمر العيد بي وأنا سجين بيتي لا أزار ولا أزور

ومن نكدي منعت حضور صحبي وحول الباب حراس حضور

لأني قلت: شرع الله حق وشرع الخلق بهتان وزور

إذا لم ينتشر عدل وأمن تكاثرت المفاسد والشرور

وأظلمت النفوس وغاض منها رضاها وانطفى منها الحبور

ومهما يكن فتغلب الشاعر على وحدته في إقامته الجبرية من خلال إثبات نفسه ووجوده وانطلاق لسانه وقلمه قاهرا بذلك القيود التي يمكن أن تأسره هو في حقيقة الأمر إثبات منه على قدرة تحمله للعزلة ومن ثم قهره للاغتراب.

[1] – أحمد سحنون ، مقدمة الديوان الثاني ، منشورات الحبر ، الجزائر ، ط1 ، 2007

[2]– المرجع السابق ، ص32

مراجع الفصل الأول

- محمد الصادق عفيفي ، النقد التطبيقي والموازنات ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1978 ، ص299 (p.p.f)
- مقال : شعراء أبدعوا في المنفى ، ينظر الموقع:

Omen./slammessage.com/article.aspx ?

- مؤسسة الأمير عبد القادر ، الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ،2011 ، ص223
- الأميرة بديعة الحسني الجزائري ، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق دار المعرفة ، ط2 ، 2008 ، ص315
- إبراهيم رماني ، المدينة في الشعر العربي، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ، ص133
- مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص88
- نزيه أبو نضال ، أدب السجون ، دار الحداثة ، لبنان ، 1981 ، ص14
- سالم المعوش ، شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص100
- مجلة حوار المتمدن .ينظر موقع:

WWW.ACHEWAR.ORG/DEBAT/SHOW.ART.asp

- هاني الخير ، محمود درويش " رحلة عمر في دروب الشعر ، دار قليتس للنشر والتوزيع ، المدية ، الجزائر ، ط1 ، 2008، ص14
- عباس صادق ، أمراء الشعر العربي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط3 ، 2009م ، ص249
- صالح خرفي " الشعر الجزائري " الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1970 ، ص16
- عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، المركز العربي للدراسات النشر ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 2001 ، ج2 ، ص189-190

- جريدة البصائر " حمزة بوكوشة " مقال جمعية العلماء المسلمين في سنتها العشرين " العدد 136 -170 (1951-1958) ، دار الغرب الإسلامي ، ص147
- عبد المالك مرتاض ، فنون النثر الأدبي في الجزائر ، 1931-1954 ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص17
- عبد المالك مرتاض ، " أدب المقاومة الوطنية في الجزائر دار هومة ، الجزائر ، 2009 ، ج2، ص(258-259)
- توفيق جعمات "قبسات من شخصية الإمام محمد البشير الإبراهيمي " مطبعة رويغي ، ط1 ، 2010 ، (ص45-46)
- المنجي بوسنينة ، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ، دار الجيل ، بيروت ، 2005 ، مج4 ، ص331-332
- حسن فتح الباب " محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر " ، دار المصرية اللبنانية ،ط1 ، 2002 ، ص53
- محمد العيد آل خليفة "الديوان " المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2010 ، ص132
- أبوالقاسم سعدالله ، الأدب الجزائري وملحمة الثورة ، منشورات الحضارة الجزائر،ط. 2، 2013 ، ص77
- رابح خدوسي " موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين ، منشورات الحضارة ، الجزائر، 2014 ، ج2 ، ص(152-153)
- أحمد سحنون " الديوان الثاني " منشورات الحبر ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، ص183

الفصل الثاني

تجربة الإقامة الجبرية في شعر
محمد العيد آل خليفة

الفصل الثاني

تجربة الإقامة الجبرية في شعر محمد العيد آل خليفة

تمهيد: تطور التجربة الشعرية في شعر محمد العيد

مراحل شعر محمد العيد

المرحلة الاولى : قبل الحرب العالمية الثانية

المرحلة الثانية : من الحرب العالمية الثانية إلى الثورة

مرحلة العشرينيات

مرحلة الثلاثينات

مرحلة الأربعينيات وما تلاها

تجربة الإقامة الجبرية في شعر محمد العيد آل خليفة

نماذج من شعر الإقامة الجبرية

قصيدة " أبي البشير: "مناجاة بين أسير وطائر"

قصيدة " أبي المنفوش: "مناجاة بين مقيم وجبل"

تمهيد: تطور التجربة الشعرية في شعر محمد العيد

لما كان محمد العيد آل خليفة[1]أحد أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وبحكم انعكاس الوضع السياسي في الجزائر في عهد الاستعمار على هذه الجمعية ،كان لزاما على الشاعر أن يكون أول المناضلين بالكلمة والمساندين للنضال السياسي والفكري والاصلاحي ، فاعتقل عند بداية الثورة الجزائرية باعتبار دوره الكبير في التوعية والتحريض وخطورته على السلطات الاستعمارية " وليس أدل على دوره المؤثر من محاولة المستعمرين إسكات صوته لمنع انتشاره ، فحكموا عليه بملازمة بيته دون أن يبرحه ، وذلك نوع من الاعتقال والسجن ، لأن هؤلاء الغاصبين كانوا يدركون أن القلم سلاح ناجع في المعارك لا يقل أثرا عن أدوات القتال"[2].

ولئن تعددت موضوعات شعره[3]، وقضاياه المختلفة فإنّه يمكن أن نحصره في مرحلتين أساسيتين في حياة الشاعر:

شعر ما قبل الحرب العالمية الثانية :

تبتدئ هذه المرحلة من أول خطوة خطاها في الحياة العلمية ، وذلك منذ توليه منصب بمدرسة الشبيبة إلى أوائل الحرب العالمية الثانية ، وهي فترة طويلة غنية بالأحداث الشعبية والأحاسيس الشخصية ،فقد كان مؤمنا بالقيم الاصلاحية متمردا على كثير من الأوضاع التي خلقها الاحتلال.

وشعره في هذه المرحلة صور لكفاح الجزائر على اختلاف أشكاله ، فهو يبشر بالإصلاح ، ويباهي بأمجاد وطنه وتاريخه ويدافع عن حقوقه السياسية.

وبالرغم من أن أكثر شعره كان شعر مناسبة مرتبطا بحوادث وأشخاص ومنشآت عامة، فإنه في جملته من أنجح شعر المناسبات في هذا العصر لما يتميز به من صدق وما يبشر به من آمال ، ولأنه لم يكن يريد به وجه أحد ولم يكن يطمع من ورائه في مال أو سلطان ، ولكنه كان يعبر به عما في نفسه من عاطفة متأججة وإيمان بالشعب وآماله المشروعة.

وقد تلقفته من أول عهده صحافة الحركة الاصلاحية فكان يشرك في التحرير أحيانا وبالشعر أغلب الأحيان ، وصدرت أكثر قصائده في الشهاب والبصائر وغيرهما من الصحافة الوطنية[4].

---

[1] – تنظر ترجمته في الملحق

[2] – حسن فتح الباب ، محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 2002 / ص74

[3] – ننظر اثاره في الملحق

[4] – ينظر : أبو القاسم سعد الله ، شاعر الجزائر محمد العيد ال خليفة ، عالم المعرفة الجزائر ، 2011 ، ص (130-132)

شعر ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى الثورة الجزائرية:

تلوح بوادر الصمت في هذه الفترة بالنسبة للشاعر أو لغيره من الأدباء، لأنها فترة تزامنت مع ظروف صعبة لدى الشاعر .

" إن الامكانيات الضخمة والتجاوب المطلق مع الشعب لم يتح له أن يبلغ مداه أو يستمر في عنفوانه ، فقد أمسك الشاعر عن القول واحتسبت ألحانه في حنجرته وترك من حوله آلاف المثقفين والمتسائلين والشامتين أيضا ، إذ فر الطائر من القفص الذي أحاطه به المعجبون والمعرضون الذين يحسنون نصب الشباك والحبائل .. فر إلى العوالم الرحبة والأجواء الحرة .. إلى الصمت الرهيب والوحدة الرائعة.

تقول الروايات والمعلومات أنه عاش تجربة خاصة جعلته يهجر العاصمة ويصر على عدم العودة إليها ما دام شبح هذه التجربة لا يبرحها ، وعندئذ سكت عن قول الشعر وحطم أوتاره التي عزف عليها بعض روائعه الأولى ورمى بالكأس وهي ما تزال متنوعة وما يزال الظمأ يحرق قلبه ، وعاد ينشد راحة ضميره واستقرار نفسه فلم يجدهما إلا في جلال الوحدة وقداسة الصمت ، وبذلك اعتزل الناس زمنا ليس بالقصير ... ثم عاد بعد تطور في الظروف وإلحاح من الناس"[1].

وهذا الإلحاح من الناس إن دل على شيء فإنما يدل على مكانته ، وسط مجتمعه فهو يحمل رسالة إباء ووطنية وعقيدة فكان دوما مدافعا مكافحا عن شعبه ، فلا غرو إن ضج الأدباء وتساءل الناس عن صمته وانعزاله قالت البصائر وهي تقدم لإحدى قصائد الشاعر محمد العيد آل خليفة "كان صمت بلبل الجزائر الاستاذ الشيخ محمد العيد ال خليفة الذي طالما هز المشاعر وحرك الضمائر محل حيرة وتأسف شديدين لدى كل الأدباء الذين كانوا يجدون في شعره شفاء للقلوب وجلاء للكروب.. وقد أدهم الحيرة وهزهم الشوق إلى مكانته رجاء أن يشنف الأسماع بشجى ألحانه فلم يظفروا بجواب حتى جاء النداء الأخير من الشاعر الأديب الأستاذ أحمد سحنون فهيج ذكراه وهزت قريحته فجاءت بهذه النغمات العذبة التي يغني عن وصفها أنها من الشاعر العظيم بل أمير شعراء الجزائر محمد العيد آل خليفة"[2].

وشعر محمد العيد آل خليفة عبر مراحله المختلفة ،كان مواكبا لأحداث وطنه وسجلا حافلا وتاريخا مجيدا.وهو ما جعل البشري الإبراهيمي من بين العديد من الكتاب والشعراء[3]يطلق عليه العديد من الأوصاف والنعوت فهو شاعر الشباب والجزائر الفتاة في العشرينات وشاعر الشمال الإفريقي والعروبة في الثلاثينيات ، وشاعر الحكم والمثل وشاعر المعاناة الوطنية في الأربعينيات.

---

[1]- المرجع السابق ، ص (132-133)

[2]- أبو القاسم سعد الله " محمد العيد شاعر الجزائر ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2011 ، ص(183-184)

[3] - ينظر : آراء الأدباء في محمد العيد ، في الملحق

- **شعر العشرينيات:**

"كانت هذه المرحلة بوتقة الشعور الوطني العارم ، ومعترك الجبهات المتضافرة فكرا وأدبا ، وإصلاحا اجتماعيا ، وتطلعا سياسيا ، التطلع إلى التغيير هي سمة هذه المرحلة ، ليس في الجزائرفحسب ولكن في أقطار الشمال الإفريقي ..."[1]

- **شعر الثلاثينات:**

"كانت الثلاثينات مرحلة التميز في الحركة الإصلاحية العربية المسلمة ، وكان العيد شاعر هذه الجبهة من الجهاد الأكبر ،كان العقد الثلاثيني عقد التميز والتمايز كانت (الشخصية الوطنية) محك الصدق والزيف ، والدعوة والادعاء في مسرح الأحداث ، والمقومان للشخصية ، أساسيان أبديان ، العروبة والإسلام..."[2].

- **شعر الأربعينيات وماتلاها:**

مرحلة المعاناة والمقاساة الوطنية عكست تجربة الشاعر ، المريرة المليئة بالكفاح.

" وكان العيد شاعر الحكمة والمثل ، أطلقها عليه (الابراهيمي) في مستهل الخمسينات .. والحكمة فيه أيام النضج العقلي ، والعمق الفلسفي، نفس يتردد ، وهواء يتنفس ودفقه في العروق ، وصوفية في محراب الإبداع"[3].

نخلص من هذا كله إلى أن شاعرنا محمد العيد كان ذا مكانة عالية وصاحب رسالة نبيلة " حر كريم يصافح العلياء في سمائها والكرامة في إبائها والوطنية في بهائها والعقيدة في صفائها.

وليس معنى هذا أنه كان يحيا في برج عاجي ينظر من قمته إلى الكادحين في كدحهم وإلى المناضلين في نضالهم ثم يرسم ظلالهم بألوان مزخرفة –كلا- وإنما هو أولا وأخيرا شاعر في شعب وشعب في شاعر ..."[4].

---

[1]- صالح خزرجي ، محمد العيد آل خليفة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص19

[2] - صالح خزرجي ، محمد العيد ال خليفة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص21

[3]- المرجع السابق ، ص23

[4] - مجلة الاصالة ، محمد رشدي حين ، دراسة حول ديوان محمد العيد ال خليفة ، مج ،4 ، تلمسان ، 2011 ، العدد11.12.13.ص51

تجربة الإقامة الجبرية في شعر محمد العيد:

تحت رهن الأسر والقيد ، حينما تشتد القيود بالأديب وتطول أيام أسره ، فتتحول طاقته إلى نبع غزير فياض ، فيظل الشاعر وسط حنين وشوق واغتراب ، يعبر عن عمق معاناته في اضطراب واختلاف في المشاعر التي تهز نفسه في كل لحظة وفي كل حين.

" لقد عانى الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة من ويلات الاستعمار ، حيث ألقي عليه القبض ، بعد اندلاع الثورة ، وزج به في السجن ، وامتحن بتجربة استعمارية قاسية ، قبل اطلاق سراحه بعد محاكمته فألزم بالإقامة الجبرية في بلدته الوديعة " بسكرة " وحرم من حق الاجتماع ، وطوق برقابة شديدة إلى انتهاء الثورة وبزوغ فجر الاستقلال "[1].

وعلى الرغم من ذلك فإن الفترة التي قضاها الشاعر في إقامته الجبرية زادت من مقاومته وصموده ، ليستمر في طريق نضاله المرسوم، ورغم وضعيته السيئة التي يقول عنها هو نفسه"كنت لا أخرج من البيت وكان احتكاكي بالناس لا يتجاوز الدقائق المعدودة ، وكنت أغتنم تلك اللحظات لا أؤكد للزوار ، قرب انفراج الأزمة وحتمية النصر وكثيرا ما كنت أتلو على مسامعهم قوله تعالى (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون)"[2].

وإن كان الاعتقال بمختلف أشكال وصور التعذيب والتنكيل وسيلة المستعمر لتحطيم نفسية الشاعر ، فإنه لم يستطع هزيمته والحط من عزيمته " وإن استطاع الاحتلال أن يجرد الشاعر من حريته الشخصية ويسجنه في بيته ويعزله عن أفراد مجتمعه فإنه فشل في أن ينزع من بين جوانحه قلبه ويعزله كل العزل كما كان يهوى عن المساهمة في معركة شعبه ، فقد ظل يعيشها بروحه ووجدانه ، يبث العزيمة والصبر والصمود في كل زائر يحل يناديه على خفاء من العيوب المترصدة ، وينزع من بعض الضمائر الضعيفة ما يكون قد تسرب إليها من أسباب اليأس والقنوط لشدة الأهوال وعسرة الأحوال يومئذ ، مؤكدا لهم انفراج الأزمة ، ومذكرا إياهم بوعد الله بالنصر لعباده المؤمنين ، ويصور الشاعر بعض إحساسه في تلك الأيام "[3]، فيقول :

ما شككنا والشعب فيها كليم أنّ نارالأوراس من سيناء

حيث صارت طور التجلي، وصرنا كلنا حولها من الكلماء

[1]– بقاسم بن عبد الله " الأدب الجزائري وملحمة الثورة ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، ط2 ، 2013 ، ص76

[2] – ابن سمينة محمد ، محمد العيد ال خليفة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (د.ت.ط) ، ص105

[3] – ابن سمينة محمد ، محمد العيد ال خليفة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (د.ت.ط) ، ص115-116

فأحاسيس شعبه لابد أن تبقى صامدة كما يحاول هو بدوره أن يظهر في مركز قوة رغم ما يجيش في داخله من أهوال و لما كان شعر محمد العيد يؤدي وظيفة سياسية هامة نابعا من أرض يسودها الظلم والاضطهاد مجابها لواقع استعماري تنعدم فيه القيم والأخلاق.

فقد خضع الشاعر خلال السبع سنوات الشداد في الإقامة الجبرية إلى رقابة صارمة " حظر عليه فيها مغادرة منزله فعاش بذلك مقيد الحركة محروما من حريته الشخصية ، معزولا إلى حد بعيد عن الحياة والناس معرضا في كل لحظة من الليل ومن النهار ، ككل الجزائريين يومئذ ، إلى حملة من حملات الإرهاب يفاجئ بها الجنود الاحتلال في أي ساعة يشاؤون ، من يشاؤون من الأبرياء ، العزل ، كما كان يستدعي بين الحين والآخر إلى الاستنطاق ، وكان يأتيه أحيانا من يقوم بتلك المهمة إلى بيته متسترا وراء قناع من تدفعه الرغبة إلى السؤال عنه ، والاطمئنان عن أحواله"[1].

ولما كان الشاعر بأدواته الفنية أكثر مقدرة على التعبير عما يعتريه فإنه يجد في موضوع أسره مادته الأساسية لشعره ، ذلك الأسر الذي طفا على سطحه بل تغلغل في أعماقه غربة واغترابا ومن ثم كان الابداع الشعري فيضا ودفقا جديدا ، ممزوجا بمرارة الواقع المعيش.

وبالرغم من ذلك فإن ما أنتجه الشاعر في الفترة التي قضاها وهو رهن الإقامة الجبرية كان قليلا " ففي حديث أدلى به محمد العيد إلى أحد زائريه بعد الاستقلال قال له " وفي هذه الأثناء (يعني سنوات الاعتقال والإقامة الجبرية) كنت أكتب وأكتم ما أكتب"[2].

ولعل السبب في ذلك كما ذهب الكثير من الباحثين هو الظروف الصعبة والضغوط التي مر بها الشاعر كغيره ممن زامن الثورة التحريرية إذ يقول محمد العيد آل خليفة:

"كنت قد نظمت أثناء الثورة بعض الشعر ، وهو قليل ، ولكنه قد ضاع مني بسبب ظروف التحري التي كنا نخضع لها في أغلب الاوقات"[3].

فالشاعر كان دائما ملاحقا بالسجن والمتابعة المستمرة والمضايقة والاضطهاد من طرف الاستعمار الفرنسي فانعكس كل ذلك على إنتاجه الأدبي وأثناء إقامته الجبرية "

وكما ذكرنا سابقا نظمه في هذه الفترة كان نزرا وهذا ما أشار إليه أبو القاسم سعد الله أن " ما نظمه أيام الثورة فلا نكاد نجد منه منشورا سوى قطعتين ، إحداهما بعنوان (الأسير وأبو البشير)، مطلعها:

---

[1] – المرجع نفسه ، ص105

[2] – ابو القاسم سعد الله " محمد العيد شاعر الجزائر ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2011 ، ص48

[3] – ابن سمينة محمد ، محمد العيد ال خليفة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (د.ت.ط) ، ص108

جزمت بقرب إطلاق الأسير غداة سمعت صوت أبي البشير

أمّا قصيدته الثانية فكانت بعنوان (مناجاة أبي منقوش)"[1]، ومطلعها:

أبا المنقوش هل تدري بحالي فأنت اليوم جاري في الجبال

وقد نظم قصيدته " أبا المنقوش التي يضمها ديوانه الكبير وفيها يناجي الجبل " بو منقوش القريب من بسكرة ، بالجنوب الشرقي الجزائري ويبثه حاله وأحواله ويكبر فيه علوه وصموده في وجه العواصف"[2].

فإذا ما جئنا إلى القصيدة الثانية التي بعنوان " مناجاة بين أسير وأبي بشير " نجد الشاعر " في إقامته الجبرية بيته في (بسكرة) بعد خروجه من السجن أطل عليه (الطائر) (أبو بشير) فكان بينهما ما كان بين (أبي فراس) والحمامة و(سليمان) والهدهد ، كانت هناك (مناجاة) بين (أسير وأبي بشير) وفي هذه المناجاة وضعت الحرب أوزارها بين الشاعر واليأس بقدر ما احتدمت الحرب .

على قمم الأطلس فأشاح الشاعر بوجهة عن اليأس متطلعا إلى تباشير اليوم الموعود"[3].

هكذا فقد كان محمد العيد آل خليفة بما كتبه في فترة إقامته الجبرية على الرغم من قلته وبغض النظر عن الأسباب التي تقف وراء ذلك ، قد استطاع بحق أن يبلغ إحساسه وهو داخل إقامته الجبرية أو خارجها فصوته ظل يصدح عاليا ثائرا.

نماذج من شعر الإقامة الجبرية :

أولا: قصيدة " أبي البشير: "مناجاة بين أسير وطائر"

يمكن الكلام، بداية، أنّ الروح السارية في قصيدة (أبي بشير)، قد تحمل إلى إدراج هذه النص ضمن "أدب السجون"، أو "شعر السجن"، حيث نلمس – بوضوح – حضور روح قصيدة أبي فراس، وسجنياته (الروميات)، بل وورود اسمه ضمن القصيدة:

أناجيه بآمـــــــالي وحالي وأستفتيه عــن شعبي الكسير

كما ناجى الأمير "أبو فراس" حمامته بشعـــــــر مستثير

[1] – ابو القاسم سعد الله ، شاعر الجزائر محمد العيد ، عالم المعرفة ، الجزائر 2011 ، ص48

[2] – بلقاسم بن عبد الله " الادب الجزائري وملحمة الثورة ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، ط2 ، 2013 ، ص77

[3] – صالح جزفي ، محمد العيد ال خليفة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986، ص98

إنّ هناك ثلاثة أنواع من المعاني، يطرقها محمد العيد، عند تعرّضه لموضوع (الأسر) في أشعاره:

النوع الأول: الأسر الحقيقي، الذي عاشه في سجن الاستعمار، أو عايشهحين كان يرى الاحتلال الفرنسي يزجّ بأعضاء جمعية العلماء ونشطائها في السجون والمعتقلات.

النوع الثاني: الأسر السياسي المرتبط بالدعوة إلى الحرية والتحرّر، سواء على مستوى القضية الوطنية (الجزائر)، أو القومية (الوطن العربي)، أو القاريّة (شعوب إفريقيا)، أو الإنسانية (التنديد بالاستعباد في كلّ مكان).

النوع الثالث: الأسر الفلسفي: وهو موضوع التجربة الشعرية التي تفلسف الحرية، وترسم صور التحرّر بأدوات الفن والجمال، فتقدم نماذج شعرية رمزية تعمّق الشعور بالحرية والتحرّر[1]

ويتحدّث الباحث الجزائري (محمد الصغير بناني) عن هذه الموضوعة المائزة (موضوعة الأسر)، وتميّز تجربتها عند محمد العيد، حيث التعبير عن معنى "الأسر"، هو – في الوقت ذاته – تعبير عن معنى الحرية، على ما في هذا الجمع من تناقض وغرابة.. إذ نجده يصف الاعتقال ليعبّر عن الحرية.. فلا غرابة – إذًا – أن نسمعه يقول:

رضيت بأن أكون لها أسيرا رضيت.. وربّ أسر فيه منٌّ

فذكرُ الأسر – عنده – يقود – مباشرة – إلى ذكر الحرية"[2].

ولعلّ الدكتور (أبا القاسم سعد الله) قد انتبه إلى أصل هذه المسألة المتداخلة، وانعدام المسافة الضديّة بين "الأسر"، و"الحرية"، مرجعا إياها إلى "تجربة ذاتية" قاسية، عاشها يوم كان مدرسا، ثمّ مديرا بمدرسة الشبيبة الإسلامية الحرّة بالعاصمة، لمدة اثنتا عشرة سنة، جعلته يهجرها، ويصرّ على عدم العودة إليها، ما دام شبح هذه التجربة لا يبرحها.. فيختار الصمت والسلامة، ويعتزل الناس ويختلي بنفسه في نزعة هروبية، ومع اندلا ع الثورة التحريرية المباركة، يمتحن بالسجن، ثم بالإقامة الجبرية بـ "بسكرة"، ليكون تحت يد السلطة الفرنسية وبصرها حتى الاستقلال[3].

---

[1]- ينظر: محمد الصغير بناني: فكّ الإسار في شعر الهزار (تحليل بلاغي وأسلوبي لمقطوعة "يا هزاري"، لمحمد العيد)، مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني، الجزائر، 1996، صص: 100- 106

[2]– محمد الصغير بناني: فكّ الإسار في شعر الهزار (تحليل بلاغي وأسلوبي لمقطوعة "يا هزاري"، لمحمد العيد)، مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني، الجزائر، 1996، ص: 98.

[3]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر (محمد العيد آل خليفة)، المؤسسة الوطنية للكتابط.3، 1984، صص: 132 – 135.

إنّ أهمّ ما يلفت انتباهنا، ونحن نطالع ما كتبه شاعرنا (محمد العيد آل خليفة)، وهو رهن إقامته الجبرية*، تجسيد شعره لمعاناته، التي هي شكل من أشكال المقاومة؛ لا تختلف عن مقاومة المناضلين الثوار في قمم الجبال. إنّه ساكن في أسره، حبيس في منزله، غريب، في عزلة عن غيره، ولكنّه كان ملتحما بمأساة شعبه؛ يعيشها حسّا، وتعبيرا صادقا، وإن لم يكن يعايشها حقيقة قائمة.

تصوّر القصيدة إحساس الشعب الجزائري، وترسم تطلّعه – أثناء ثورة التحرير– إلى أن يشهد ذاك اليوم العظيم، الذي يتحرّر فيه من الأسر، وينعتق فيه من الاستعباد، من خلال إحساس محمد العيد في هذه القصيدة البسيطة الكبيرة معا، فهي تبدو بسيطة في لغتها، وشعبية في أفكارها، ولكنّها كبيرة بما تطرحه من مبدأ كريم، وحلم وطني جميل"[1]، وتعلق بقضايا الشعب والوطن، والأمة، والإنسانية. والشاعر، وهو يرصد هذه القيم النبيلة، ينصهر حبّه الذاتي بحبّه القومي، والديني، فلا ينتج عن هذا الانصهار إلّا انصهار في حب واحد موحّد هو حب الإنسان والإنسانية.

إنّ هذا الحب الذي يراوده، قد زكّته تربيته الدينة الراسخة، وروحانيته الصوفية المسالمة، التي لا تكاد تفارقه، وهو تحت وطأة القيود، وقسوة العزل، وشناعة الإحساس بالغربة بين أهله وقومه.

".. في أثناء هذه الغربة النفسية والجسمية، سمع الشاعر – وهو يعاني مرارة الوحدة القاتلة – صوت طائر صغير في حجم العصفور، يعرف في جهات المغرب العربي باسم (أبي بشير)، فهاجت كوامن نفسه، وتجاوب مع هتاف هذا الطائر الصدّح، الذي يستبشر الناس – عادة – برؤيته، وزقزقته، فتفاءل خيرا، وشاعت في جنبات صدره موجه من الفرح والسرور، أحس خلالها بأن هذا الظلام القاتم سينفرج ولا شك"[2]، فكان ميلاد النص[3]

جزمت بقرب إطلاق الأسيـــر	غداة سمعت صوت أبي بشير
فقمت مرحّبا بنزيـــــل يمن	علي بكل إكـــــــرام جدير
وجئت أبثه نجـــــواي سرّا	ومن للحرّ بالصوت الجهيـر
أناجيه بآمـــــــالي وحالي	وأستفتيه عـــن شعبي الكسير
كما ناجى الأمير "أبو فراس"	حمامته بشعـــــر مستثير

* لم يكتب سوى القصيدتين المعروفتين: قصيدة أبي بشير، وقصيدة أبي المنقوش.

[1]– عبد المالك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2009، 1: 530

[2]– محمد الصادق عفيفي: النقد التطبيقي والموازنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1978، ص: 330.

[3]– ديوان محمد العيد، ص: 422.

قد يعضد هذه المناسبة الخاصة، مناسبة عامة، كانت تعيش في وجدان الشاعر، من خلال شاعر حمداني عاش تجربة الأسر، فكانت له مناسبته الخاصة ايضا، حين تحط حمامة نائحة عن قرب، ممّا قد تغري هذه التناصية الموضوعية محمد العيد باستحضار نص الحمداني، ومخاطبة طائره (أبي بشير)، بالمنطق الذي خاطب به أبو فراس الحمداني حمامته، من وراء قضبان زنزانته الرومية، بقوله:

أقول، وقد ناحت بقربي حمامة ... أيا جارتا، هل تشعرين بحالي؟.

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببالي

أتحمل محزون الفؤاد قــوادم ... على غصن نائي المسافة عالي

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ... تعالي، أقاسمْك الهموم.. تعالي

تعالي، تري روحا لديّ ضعيفة ... تردّد في جسم ، يعذّب ، بالي

أيضحك مأسور ، وتبكي طليقة ... ويسكت محزون، ويندب سالي

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ... ولكنّ دمعي في الحوادث غالي

غير أنّ هذه الحالة (الشعورية / الشعرية) عند الأمير الحمداني، قد تختلف عن الحالة "العيدية" إذ لم تنبثق بروح متألّمة مستكينة حزينة نائحة، ولكن بروح مستبشرة متفائلة، يحملها هذا الطائر البشير الميمون، وكأنّه بشارة بقرب انفراج الأزمة، بعد اشتدادها[1]:

رأيتك، فابتهجت، فكن سميـرا ... لمشتاق إلى سمـــــر السمير

وواعٍ ما تقول ، وربّ مصـغٍ ... لصوتك ما وعى غير الصفيـر

أراك، أبا بشير، ضيف خيـر ... وطائر رحمـــــة للمستخير

وكل سفارة لك، فهي بشــرى ... فأهلا بالسفـــارة ، والسفيـــر

أرح قلبي بزقزقـــــة الأماني ... ومتّعني بمنظرك النضيـــــر

نستشف، من خلال هذه الأبيات، عمق الأمل الذي استشعره بحلول هذا البشير، على الرغم من عمق المعاناة التي ترافقه في إقامته الجبرية؛ إذ لا رفيق يسامره في غربته، أو صديق يبثّه شكواه، فإذا به يعانق صوت

[1]- ديوان محمد العيد،صص: 422-423

الطائر، وتأتيه الأماني، لا تحدّها الحدود، ولا تشدّها القيود، متفائلا، مستبشرا، بالخير الذي يحمله هذا الطائر الميمون.

ثم يطفو الإحساس الواقعي في تجربة الشاعر محمد العيد، حين يعبّر عن واقعه، وواقع شعبه الأليم، ".. فكان في مناجاته تلك، شاعر التقرير والحقيقة، ومن ثمّ، كانت محاولته، التي استلهم فيها قصة "الحمامة" مع "أبي فراس الحمداني"، بل وقصة "الهدهد" مع "سيدنا سليمان"، هي محاولة للتعبير الواقعي، ورفض المنطلق الوجداني الرومانسي، الذي سار فيه أبو فراس، وتحولت بالشاعر إلى الحقائق الفارقة في مجال الواقع، وإلى الوظيفة التقريرية"[1].

نلمس ذلك في قوله[2]:

وأنبئني عن الأمـــل المرجّى وحدثني عن الحدث الخطيـر

فقال: لقد أتيتك من بعيـــد فأصغ إليّ، وارو عن الخبيـر

كما أصغى (سليمان) قديمـا إلى أنبـاء هدهده الصغيـر

وقد حاول الشاعر أن يجمع شمل أمته، ويحثها على الوحدة، ويدعوها إلى الانضمام، ولمّ الشمل من أجل مواصلة الدرب، والوصول إلى الهدف الأسمى، وهو الحرية. واسمعه يقول[3]:

سيحمد شعبك العقبـــى قريبا ويحرز نصره بيد القديـــر

ويشهد بعث دولته فيرضـــى ويحظى بالهلال المستنيـــر

ويحكم حكمه الشوريّ حـــرّا وخير الحكم حكم المستشيـــر

اذا كان الوفاق له دليـــلا فمجلوب إلى خير كثيـــر

وإن كان الشقاق له سبيـــلا فمنكوب بشر مستطيـــر

إنّه يرفض الواقع الذي يعيشه الوطن العربي، وتعيشه كثير من الدول الإسلامية، في مسألة الحكم وقواعده، وسياسة الناس، وإدارة مصالحهم، منبها إلى أثر التفرّق، والتناحر من أجل مصالح دنيا ضيّقة، وعصبيات قبلية ومذهبية سقيمة، ".. تمزق الصفوف، وتفصم عرى الألفة، وتبعث على الشقاق، ولكنّه يريد

[1]- المرجع نفسه ، ص334

[2]- ديوان محمد العيد، ص: 423

[3]- ديوان محمد العيد،ص: 423

الوفاق؛ ليجابه الاستعمار في مظهر يخشاه، ولا يجد فيه ثغرة ينقذ منها لضرب وحدة الشعب الوطنية، ويتخذ من ذلك ذريعة للمطال والتسويق"[1].

ها هو الشاعر، من داخل "إقامته الجبرية"، حريص على شعبه، ملتحم بمصيره، يرجو له الخير، ينشد ذلك بروح سامية، ولو من وراء العزل والحجز والحجر، يحث على الانتفاضة، والصبر في المقاومة، محملا فرنسا عواقب استبدادها واستعبادها[2]:

فقم ، واهتف بوحدته ، وحرّض عليها؛ فهي كهف المستجيـــر

وكن عبدا لها، واطلب رضاها ولو بالصبر، والذل المريـــــر

لقد شطت فرنسا في أذاهـــــا وحطتها إلى الدرك الحقيـــــر

سقتها بالعذاب كؤوس صـاب وآخر سقيها شرب المريـــــر

لقد عبر الشاعر عن محنته في الأسر والاعتقال والعزل طيلة سنوات نضاله السياسي، ولكنه عبر – دائما – عن موقفه الثابت، وهدفه النبيل، الذي هو نشدان الحرية، فهتف عاليا بثورة شعبه، وتغنى بها[3]:

وتهتف للجزائر عابـــــــرات بشتى الطرق تعبق بالعبيـــــر

وما شعب الجزائر غير شعب سيجني بالفدى ، حرَّ الضمير

وحسبك ثورة الأحـــرار حكما أخيرا منه في العهد الأخيـــر

لقد ضحى بثورته ، فأضحـى بها في الصبر منقطع النظير

فما من أمة ينهض شعبها إلى مقاومة المعتدي، وافتكاك حرّيتها منه، مهما كلفها ذلك من ثمن وتضحيات، إلاّ ووجدت لها مكانا تحت الشمس، تقرّر من خلاله مصيرها، وتتموقعالتموقع الكريم بين الأمم[4]:

ولا تعجزك آلاف الضحـــــايا وما أجراه من دمـــــه العزير

فتلك شهادة الشهـــــداء فيه وذلك أجر مطلبه الكبيـــــر

---

[1]– محمد الصادق عفيفي: النقد التطبيقي والموازنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1978، صص: 331، 332.

[2]– ديوان محمد العيد، ص: 423

[3]– ديوان محمد العيد، ص: 424

[4]– ديوان محمد العيد، ص: 424

أتى استقلاله حتما، فأبشـــر وبشر ، ما لقولك من نكيـــر

ودع عنك التشاؤم، فهو وهْـم وهمّ ، ليس يجمُل بالبصيـــر

فليس لأمـــة ، بالحق ثارت ، مصير غير "تقرير المصيـر"

هكذا، أوجد الشاعر لنفسه، من خلال قصيدته، مجالا يعبّر عن ذاته وتجاوبه الصادق مع محنة وطنه، وتلاحمه العميق مع شعبه، فهذا الذي خفّف عنه الوحشة والغربة، وعزز في نفسه الشعور بالفخر والعزة، وهو يدفع شعبه الى تقرير مصيره.

باء: قصيدة " أبي المنقوش: "مناجاة بين مقيم وجبل"

محادثة الشعراء لعناصر الطبيعة ومناجاتها أسلوب شائع يحتل مساحة فنيّة شاسعة في دواوينهم، وفي جسد قصائدهم، خاصة، حينما يكون الكلام عن شعراء الطبيعة، أو شعراء توجّهوا توجها فنيا في أدبهم، حال شعراء الرومانسية.

ولعلّ مناجاة الجبل، من أهم الموضوعات التي التفت إليها الشعراء لعمق دلالة هذا المعلم الطبيعي في حياة الإنسان. إنّه الوتد الذي غرس في الأرض ليغدو علامات مادية هادية لكلّ ضارب في الأرض، وهو صرح عاصم؛ ينجي من يلجأ إليه من كلّ خطر قد يداهمه، سواء أجاء الخطر من الإنسان المعادي، أم الوحش الضاري، أو أهوال الطبيعة.

والجبل رمز في حدّ ذاته؛ إنّه رمز القوة والثبات، والعزة والشموخ، والمواجهة والتصدي، و والمنعة والأمن، وليس غريبا أن تكون الجبال مواقع الثورة والثوار، في مواجهة المعتدين، والغاصبين.

وأدبنا العربي يحتفظ لنا بقصائد غرّاء وصفت الجبل، ورسمته، أو ناجته وحاورته، أو وجدت فيه سجل ذكرياتها في الصبا والماضي السعيد. وليس أشهر من نص قيس بن الملوّح (مجنون ليلى)، وهو يناجي جبل "التوباد"، مشركا إياه في معاناته الوجدانية، وحبّه العفيف لليلاه:

وأجهشت للتوبـــاد حين رأيتـــه وكبّر للرحمـــن ، حين رآنـــي

وأذريتدمع العين حيـــن عرفتـــه ونادى بأعلى صوته، فدعانـــي

فقالت له : أين الذيـــن عهدتهـم حواليك من خصب وطيب زماني

فقال: مضوا، واستودعوني بلادهم، ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

وإني لأبكي، اليوم، من حذري غدا فراقك، والحيّـــان مجتمعـــان[1]

ولعلّ هذه القصيدة قد تذكرنا، في شعرنا الحديث بقصيدة أمير الشعراء (أحمد شوقي)، حين قام بمحاكاته، في مسرحيته الشعرية المشهورة "قيس وليلى"، في تناصية جميلة بديعة، أجرى أبياتها – خلالها – على لسان قيس، مخاطباً محبوبته في مسرحيته*

جبل التـــــوباد حياك الحيا وسقى الله صبانا ورعـــــــى

فيك ناغينا الهوى ، في مهده ورضعناه ، فكنت المرضعـــا

وعلى سفحك عشنا زمنـــــا ورعينا غنمَ الأهل معـــــــا

وحَدَونا الشمسَ في مَغربهـــا وبَكرنا ، فسبَقنا المطلعـــــا

هذه الربوة كانت مَلعَبـــــا لشبابَينا ، وكانت مَرتعـــــا

كم بنينا من حصاها أربُعـا وانثنينا ، فمَحَونا الأربُعـــــا

وخططنا في نقا الرمل ، فلم تحفظ الريحُ ، ولا الرملُ وعَـى

لم تزل ليلى بعَيني طِفلـــة لم تزد عن أمس إلا إصبَعـا

ما لأحجارك صُمّا ، كلّمـــا هاج بي الشوق أبتْ أن تسمَعا

كلما جئتك، راجعتُ الصِبا فأبتْ أيامُه أن ترجِعـــــا

قد يهون العُمرُ إلا ساعـة وتهون الأرض إلا مَوضِعـــا

وانظر إلى الشاعر الأندلسي (إبراهيم بن خفاجة) وهو يناجي جبله، بشاعرية آسرة، ونزعة تأمّلية فلسفية باهرة ، جعل من جبله ذلك الشيخ الحكيم الوقور، الذي خبر الحياة، وجرّب الإنسان، فإذا به يجري على لسانه فكرة الصراع الفلسفي بين الإنسان وقضايا الوجود والعدم، والحياة والموت، والبقاء والفناء[2].

وأرعنَ ، طمّاحِ الذُؤابةِ ، بَـاذخٍ يُطاولُ أعنانَ السمـــــاءِ بغاربِ

[1]– قيس بن الملوّح: ديوان مجنون ليلى، تح: عبد الستار أحمد فرج، دار مصر للطباعة القاهرة (1979)، صص: 183، 284.

*أحمد شوقي: مسرحيات أحمد شوقي، موفم للنشر، الجزائر، 1993، 1: 185.

[2]– ابن خفاجة: الديوان، تح: عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، ط.1، 2006، صص: 48، 49.

يسدُّ مهبَّ الريحِ من كلّ وجهـةٍ ... ويزحمُ ليلاً شُهبهُ بالمنـــــاكب

وقُورٍ ، على ظَهرِ الفلاةِ ، كأنهُ ... طوالَ الليالي ، مُفكِـــرٌ بالعواقِبِ

يلُوثُ عليهِ الغيمُ سُودَ عمائـــمٍ ... لها منْ وميضِ البرقِ حُمرُ ذوائبِ

أصختُ إليهِ وهوَ أخرسُ صَامتٌ ... فحدثِني ليلَ السُـــرَى بالعَجائبِ

وقال: "ألا كمْ كنتُ ملجأ قاتـلٍ ، ... وموطن أوَّاهٍ ؛ تبتّـــلَ ، تـائبِ

وكم مرَّ بي من مدلجٍ ، ومؤوِّبِ ... وقال بظلِّي من مطيٍّ ، وراكـــبِ

فما كان إلاّ أن طوتهم يدُ الردى ... وطارت بهم ريح النوى والنـــوائبِ

فحتى متى أبقى ويظعنُ صاحبٌ ... أودِّع منه راحلا ، غيـــــرَ آيبِ

وحتى متى أرعى الكواكب ساهرا ... فمن طالعٍ أخرى الليالي ، وغارب

وحين نتمثّل نص محمد العيد في مناجاته للجبل، نراه لا نكاد يبتعد عن فكرة الصراع الإنساني الذي تمثّله ابن خفاجة في نصه، لكنّ محمد العيد لا يحمله إلى مستوى التأمل الفلسفي، وإنّما ينزله إلى واقع الإنسان في صراعه مع أخيه الإنسان، فيتناوله تناولا سياسيا تحرّريا نضاليا، يرتبط بتاريخ الإنسان الجزائري، وصراعه ضد الاستبداد والاستعمار، كما يرتبط بالتجربة الذاتية التي يعيشها الشاعر في منفاه، وسجنه، وإقامته الجبرية بالجنوب الشرقي الجزائري، حيث بسكرة النخيل، وحيث جبل أبي المنقوش.

إنّنا، إذا التمسنا تجربة الشاعر في شعره، وهو في إقامته الجبرية، لا بدّ لنا نقف عند هذه القصيدة التي مثّلت هي، وقصيدة " أبي البشير"، صوتا جديدا في مسار محمد العيد الشعري، وصورة متجددة للشعر الوطني المناضل عبر هذا النوع من الأدب المهموس.

نشعر بذلك التحرّق إلى التماسِ نهاية لمأساة الشعب الجزائري، حيث استعباد الإنسان الحرّ، وحيث التمزّق الوجداني لمصير ضحايا الاستعمار، والحزن العميق لما آل إليه الشعور الإنساني، من هدر للدماء، واستباحة للأعراض، وهضم للحقوق، وانتهاكا للمبادئ الإنسانية في أبسط متطلباتها الحيوية.

مع الأبيات الأولى، نلمس هذه الانفعالية الغاضبة، وهذه جرأة غير معهودة في شعر محمد العيد؛ فقد ألِف العيد أن يكون، في شعره، هادئا تبصرا – عادة الرجل المعلّم المربي، الذي يخاطب العقل قبل الوجدان – ومسيرته في جمعية العلماء تشهد على النهج العلمي، والخط التربوي، الذي حرصت الجمعية على بلوغه، حينما انطلقت من القاعدة الشعبية، تنشر العلم، وتشيع القيم الأخلاقية الإسلامية الرشيدة، أملا في صناعة جيل

متعلّم، متخلّق، عالم، عامل، يدرك أهدافه، ويسعى إلى تحقيقها برزانة وثبات، بعدما وجدت أنّ المواجهة المسلحة، والثورة الدامية، لم يحن حينها، وأوانها.

أمّا، وقد تطورت الأحداث هذا التطور الخطير، بأن يحظر نشاط الجمعية، وتستباح دماء بعض أعضائها، ويسجن ويعذب بعض، وينفى ويغرّب آخرون، ويحجر على آخرين، فيُخضعون إلى الرقابة القاهرة، والإقامة الجبرية، فليس المجال – عندئذ – إلاّ التوجّه إلى التحريض على الثورة، والانتفاضة على المعتدي، والأمل الكبير بأنّ الله نصير المضطهدين، وأنّه حرب على المعتدين الغاصبين.

هكذا كانت هذه المناجاة المسموعة الصوت، وقد آوى إلى ركن مكين، إلى أبي المنقوش، الجبل الصامد الشامخ، الحرّ المعاند، والحامي المنافح، والولي العائل، لعلّه يجد عنده المعين المساعد.

في هذه القصيدة، ناجى الشاعر جبل (بومنقوش)، أيام محنة إقامته الجبرية، بقوله[1]:

أبا المنقوش هل تدري بحـــالي فأنت اليوم جاري في الجبـــال

ببسكرة النخيل حططت رحلـي وأنت بأرضها حامي الرحـــال

رأيتك مشرفا – أبدا – عليهـــا كإشراف الوليّ على العيـــال

رماني حول سفحك موج دهري أسيرا ، بعد أحداث طـــــوال

إنّه وصف حاد لمحنة الأسر والعزلة المفروضة، محنة شبيهة بمحنة سيدنا (يونس) عليه السلام، حيث أسقام البدن، وعذاب النفس، وقلق الروح.

فعيشي به كـ "يونس" في سقـام لدى قومي، ولكن في انعـــزال

أخال إقامتي جبرا كقبـــــــر حملت إليه ، كالجثث البوالـــي

أرى الأحياء من حولي قريبـــا وهم بالعيش عني في انشغـال

وأعذرهم، فعين الخصم يقظى ترى شررا، وتنذر بالوبـــــال

ثم يبدو الجبل جزءا من المعركة الجزائرية؛ إذ هو "رمز للثورة التي التحم بها الشاعر، وتقمصها تجربة كيانية عميقة، فأحالها الى قضية شعرية شاملة. وبذلك "يتأنسن" المكان؛ ليغدو – مرة أخرى – جزءا من تاريخ الذات في معاناتها الانسانية"[2]. إنّه رمز للصمود والقوة والمقاومة، حيث مضت على الشاعر سنوات طوال يعيشها في

[1]– ديوان محمد العيد، ص: 425

[2]– ابراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي الجزائر نموذجا ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007 ، ص146

انعزال، وقد أجبر على الإقامة قسرا ... غريب رغم قربه من الأحياء، اتخذ من الجبل ملاذا له يشكو اليه همومه ومعاناته ، فهو بالنسبة اليه حامل الأسرار، ورمز الإلهام ومصدر الحكمة، وباجتماع كل هذه الصفات يبقى الشاعر صامدا في وحدته. يقول الشاعر[1]:

أبا المنفوش خبرني فإنـــــي أحب شفاه مثلك بالســـــؤال

ففي منقوش صخرك رائعــات من الأسرار، والحكم الغــوالي

وألغاز على الأجيال تملـــى يفوز بحلّها واعي الخيـــال

".. أنّ هذا الموقف لبدو أكثر صدقا، وأعمق تجاوبا مع الطبيعة البشرية من تلك المواقف الخارقة، التي تعبّر – في حد ذاتها – عن فلته من فلتات الانسان"[2].

يعيش الحر مثلك ، وهو حــر يلاقي كل عصف ، وهو عالي

أراك تطاول الأحداث رأســا وتصمد في شموخ واعتــدال

كأنك قائد لغـــــزاة فتح ترابط ؛ مستعــدا للقتـــال

تلقّنهم ، بصخرك درس صبر وتحفزهم ، ببأسك ، للنضــال

لقد كان الشيخ محمد العيد أشدّ الناس إيمانا بهذا المصير القريب، قبل الثورة بعشرات السنين، فإنّه يبقى للسانه مجالا للتعبير عن هذا الأمل الدفين، ولقلبه مجالا لإشراك هذا الطود العظيم في المعاناة، ولا يضير أن يطلق النفس على سجيتها، فتبوح بإحساسها الإنساني المرهف، الذي لا يخلو من تململ، وضيق. وقلق. يقول الشاعر[3]:

متى يأتي، بربك، نصر شعب يقاسي كل ألوان النكـــــال

مضت حجج له خمس شــداد وموطنه بنار الحرب صــالي

أكل عصوره أمــد اضطهاد؟! وكل عهوده أمـــد احتلال؟!

لقد بذل الفدى ثمنا ، وضحى بكل دم عزيز منه ، غالـــي

[1]– ديوان محمد العيد، ص: 425

[2]– صالح خرفي: الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970،ص: 279

[3]– ديوان محمد العيد، ص: 425-426

فهل آن الأوان له ، ليحظـى بما يرجو المجاهد من منـال

بعد التساؤلات المستمرة التي خاطب بها شاعرنا (أبا المنقوش) عن مدى استمرار جبروت الاحتلال، وأوان الحصول على النصر، ها هو الجبل يجيبه مطمئنا إياه بأن الشعب ببطولاته وتضحياته سينال عزه ، ولن يبقى رهين الذل، فنتائج الثورة المسلحة تلوح في الأفق، وإن كان هناك غيم وظلمة، فلا بدّ لها أن تنجلي، لتفسح المجال لفجر جديد، وما على الشعب إلا الالتزام بالصبر والصمود؛ لأن النصر من الله أكيد، ولا سبيل له إلا بالمواجهة والتضحية لنيل الحرية والانتصار. يقول الشاعر[1]:

فقال: أجل. سيلقى الشعب عزا ويرقـــى بالفدى رتب الجلال

معاذ الله ، أن يشقى ، ويبقـى رهين الذل ، يوطأ بالنعـــال

ترقّب خير مولـــــود جديد بمولده تمخضت الليـــــالي

فإنّ الثورة اكتشفت مـــــداها ولاح لها التحرّر كالهـــلال

وما في الجو من غيم كثيـف، وإن طال المدى ، فإلـي زوال

وقل لابن الجزائر "كن صمودا" فنصر الله للبأساء تالـــــي

تحد الأقويـــــاء بكل صبر ووال الاحتجاج ، ولا تبـــال

وإنْ لم ينتصر لك أيّ مولـــى أتاك النصر من مولى الموالي

إنّ أدب الإقامة الجبرية هو وليد ظروف غير طبيعية، يقف من ورائها الاستعمار والاستبداد في محاولة لسحق الشعوب، ومحو القيم الإنسانية. فكان الأدباء والمفكرون هي الفئة المستهدفون دوما بهذه العقوبة بمجرّد خوضهم في مناهضة المحتلّ والمستبدّ، كونهم نبض الأمة، القادرين على إيقاظ النخوة في النفوس وبث الوعي. ويبقى أدب الإقامة الجبرية أدب معاناة واحتراق، يستمدّ عنفوانه من أوجاع الأمم المعذبة، وآلامها في سبيل قضايا الحرية، العدل، المساواة.

[1]- ديوان محمد العيد، ص: 426

مراجع الفصل الثاني

- حسن فتح الباب ، محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 2002 / ص74
- أبو القاسم سعد الله ، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ، عالم المعرفة الجزائر ، 2011 ، ص (130-132)
- صالح خرفي ، محمد العيد آل خليفة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986، ص19
- مجلة الأصالة ، محمد رشدي حين ، دراسة حول ديوان محمد العيد آل خليفة ، مج،4، تلمسان ، 2011 ، العدد11.12.13.ص51
- بلقاسم بن عبد الله " الأدب الجزائري وملحمة الثورة ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، ط2 ، 2013 ، ص76
- ابن سمينة محمد ، محمد العيد آل خليفة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (د.ت.ط) ، ص105
- عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر ، دار هومة ، الجزائر ، 2009 ، ج1 ، ص530
- محمد الصادق عفيفي، النقد التطبيقي والموازنات ، مكتبة الخانجي القاهرة ، 1978، ص330 ، p.d.f
- محمد العيد آل خليفة " الديوان ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2010 ، ص422
- صالح خرفي ، الشعر الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1970،ص311
- إبراهيم رماني " المدينة في الشعر العربي الجزائر نموذجا ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007 ، ص146
- محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته و خصائصه الفنية، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985 ، ص481.

خاتمة

خلاصة الرحلة

إنّ ما يمكن الاستفادة منه عبر هذه القراءة المتواضعة لشعر "الأسر" عند محمد العيد، وتحديدا شعر الإقامة الجبرية، التي مثلنا لها بالأنموذجين:

- **قصيدة " أبي البشير: "مناجاة بين أسير وطائر"**
- **قصيدة " أبي المنقوش: "مناجاة بين مقيم وجبل"**

أنّ النصين: أنموذج لأدب السجون، بما يحمله من إبعاد إنسانية عكس من خلالهما تجربة: الأسر، والاعتقال، والنفي، والإقامة الجبرية..ويبدو أنّ حسّ الشاعر الثوري المقاوم، في اغترابه وإقامته الجبرية، قدأغنى تجربته الشعرية، وزاد من روعةإبداعه.

أن النصين: تبئير لنوع من الأدب المقموع، هو أدب الإقامة الجبرية الذي لم يلتفت إلى خصائصه الموضوعية والفنية عند قرب. وإنّما نظر إليه ضمن تجربة أدب السجون. والشيخ محمد العيد، في إقامته الجبرية، هو صورة مختلفة عن حياته الشاعرية العامة، فشعره في الإقامة شحذ كوامن نفسه وعواطفهالمتقلبة بين: الألم والأمل، يرفرف مفردا كالطائر، مستمدا قوته من قيوده، التي ما زادته إلا عزيمة وثبات.

أنّ النصين:ينقلان كوامن الشاعر النفسية؛ فبقدر ما تعمّق لديه الإحساس بالغربة، وهو في الإقامة الجبرية، تضاعف لديه الشعور بالحنين نحو الأهل والوطن، ومن ثمّ، تستحيل الإقامة الجبرية مكانا مألوفا لدى الشاعر، يوطّن النفس على تجربته.

أنّ النصين: يعكسان أسلوب الشاعر، الموسوم بالبساطة والوضوح، وهذا ما أملته عليه الظروف الاجتماعية في مخاطبة قطاع عريض من الناس، مضافا إليها، حسّه التعليمي الذي يدفعه إلى الشرح، والتحليل، والتفصيل، باعتماد التقريرية والمباشرة.

أنّ النصين: يصوران أسلوب الشاعر في التعامل مع الطبيعة، حين يتّخذ من مظاهرها ملاذا، يرتبط به ارتباطا شديدا، عكس من خلاله – فنيا تجربته الواقعية (مناجاة الطير، والجبل)

أنّ النصين: يعكسان تلك التناصية المتجذّرة في ثقافة الشيخ محمد العيد الدينية، حيث يوظف في شعره القصص القرآني، والإشارات الدينية يعضد بها كلّ انطباعاته النفسية والذاتية، والإنسانية، ويعزّز بها مواقفه السياسية، والاجتماعية والفكرية والفنية

أنّ النصين: يعكسان رسالة الأديب الفنان، ووظيفته في أمّته، ودوره في وطنه، في مختلف الوضعيات.. فشعر محمد العيد آل خليفة شعر الصمود والتحدي، يسعى من أجل تبليغ رسالة الفنان النبيلة. وقد قضى الشاعر حياته كلّها، وهو يحمل هموم شعبه مدافعا عن حريته، داعيا إياه ألاّ يستكين إلى الذل والهوان.

الملاحق

ملحق الدراسة

الملحق الأول: ترجمة محمد العيد ال خليفة

الملحق الثاني: المدونة الشعرية المعتمدة في الدراسة

الملحق الأول

ترجمة محمد العيد ال خليفة

محمد العيد آل خليفة:

ولد الشاعر عام 1904م، في مدينة (عين البيضاء)، ولاية أم البواقي، شرق القطر الجزائري.

نشأ في أسرة تغمرها التقاليد الإسلامية،لذلك،أسهمت – إلى جانب المدرسة القرآنية – في صقل أخلاق ابنها، وتكوينه تكوينا إسلاميا؛ ظلّ واضحا في سلوكاته، وفي كتاباته الشعرية على الخصوص.

انتقلت أسرته سنة 1918 إلى مدينة "بسكرة"، فأتمّ حفظ القرآن الكريم فيها.

في سنة 1921، هاجر – في سبيل العلم – إلى جامعة الزيتونة بتونس، فدرس هناك سنتين، ثم عاد إلى العاصمة الجزائرية؛ ليشرف على مدرسة (الشبيبة الجزائرية)، وليدرس فيها، وقد بقي في تلك المهمّة ما يربو عن اثنتي عشرة سنة.

وفي سنة 1940م، عاد إلى "بسكرة"؛ بسبب الحرب العالمية الثانية، ثم انتقل – بعد ذلك – إلى مدينة "باتنة"، وأشرف فيها على مدرسة (التربية والتعليم)، وفي عام 1947م، انتقل الى مدرسة (العرفان)، بمدينة "عين مليلة" حتى قيام ثورة نوفمبر 1954م، حينها، سجن، ونقل إلى مدينة "بسكرة"؛ ليبقى تحت (الإقامة الجبرية) حتى الاستقلال سنة 1962م.

أسهم شاعرنا، في النهضة العلمية والأدبية والفكرية والإصلاحية في الجزائر؛ فقد كان معلما، وعضوا في "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، ومحررا، وشاعرا، وكاتبا في عدة صحف، منها:صدى الصحراء، والشهاب، والبصائر..قيل عنه:إنّه شاعر الشمال الافريقي بلا منازع "[1].

توفي محمد العيد آل خليفة صيف 1979، بمدينة "باتنة".

آثاره،واتجاهه الشعري:

للشاعر محمد العيد آل خليفة إنتاج شعري غزير؛ فقد أصدر ديوانه في 1967، ثم أعيد طبعه في سنة 1979.

ومن آثاره –كذلك – : مسرحيته شعرية هي "ابن رباح"، صدرت سنة 1938[2].

اتجاهاته في شعره:

يمكننا تلخيص اتجاهاته في شعره في أبرز أغراضه الشعرية:

---

[1] – عمار ويس ومجموعة من الاساتذة " موسوعة الشعر الجزائري ، دار الهدى ، الجزائر ، مج،1،2009 ، ص512

[2] – محمد ناصر " الشعر الجزائري الحديث ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ، 1985 ، ص666

في الوطنيات والثوريات :

وقصائده في هذا المجال تتأجج وتتلظى، وتدعو إلى التأهّب والارتماء في أحضان الموت، في سبيل الوطن ومقدساته. وما أكثر ما نظم أيضا في هذا النوع.ومن هذه القصائد: قصيدته بعنوان "صرخة ثورية" يقول فيها:

رأيتالمنايا سبيل المنـــى فخاطرْ، تصب منيةًأو منيهْ

إذا زلزلت بالخطوب البـلادُ فلا خير في حذر،أو تقيّـهْ

وهذه القصيدة نظمهاعام 1932، وهي بمثابة إرهاص لثورة "نوفمبر الخالدة".

في الاسلاميات :

وفي هذا المجال – أيضا – نظم عددا من القصائد الغرّ، التي تفيض إيمانا ووطنية، ومنها: رائعته العصماء، التي نظمها بمناسبة احتفال الأمة الجزائرية بختم الإمام (ابن باديس) تفسير القرآن الكريم، وذلك في شهر جويليةمن سنة 1938، بقسنطينة.

قال العيد يخاطب الإمام ابن باديس:

بمثلك تعتز البلاد ، وتفخـــر وتزهر بالعلم المنير ، وتزخـر

طبعت على العلم النفوس نواشئا بمخبر صدقٍ، لا يدانيه مخبر

نهجت لها في العلم نهج بلاغـة ونهج مفاداة، كأنك "حيدر"[1]

في الأخلاقيات :

تلّم بالشاعر نوبات نفسية من حين لآخر، فيؤثر العزلة، ويهجر قول الشعر أياما، ثم تتفجر شاعريته فياضة بالحكم والأخلاق.ومأأكثر هذا النوع من شعره، حيث يتجلّى في مثل قصيدته: "الترحيب بالحجاج"، التي يقول فيها:

لنا وطن مثل الفراديس بهجة فكيف رضينا أن يداس وينهبا

وكيف رضينا أن نعيش أذلةً ضعافا يرانا الغير أحقر من هبا

[1] – محمد الصالح الصديق ، اعلام من المغرب العربي ، دار موقم ، الجزائر ، 2007 ،ج3 ،ص891-894

حيارى، كقطعانٍجفتها رُعاتهـا فأغرت بها خصمين ذئبا وثعلبا

ألسنامن الأجناس أفصحهمُ فمًا وأسمحهم دينا، وأصلحهـــم أبا

آراء في محمد العيد آل خليفة، وشعره:

قال عنه الإمام عبد الحميد بن باديس:

"لمحمد العيد في الشعر صولات وجولات، وله فيه نفحات وإشراقات، جعلت المفكر الإسلامي (عبد الحميد بن باديس)، يطلق عليه في مجلة "الشهاب" الشهرية (1929-1939) لقب "أمير شعراء الجزائر"، فهو بذلك أول شاعر جزائري يخاطب بهذا اللقب"[1].

قال عنه محمد البشير الإبراهيمي:

"الأستاذ مستكمل الأدوات، خصيب الذهن، رحيب الخيال، متسع جوانب الفكر، طائر اللمحة، مشرف الديباجة، متين التركيب، فحل الأسلوب، فخم الألفاظ، محكم النسيج ملتحمه، مترقرق القوافي، لبق في تصريف الألفاظ، وتنزيلها في مواضعها، بصير بدقائق استعمالات البلغاء، فقيه، محقّق في مفردات اللغة علما وعملا، وقّاف عند حدود القواعد العلمية، محترم للأوضاع الصحيحة في علوم اللغة كلّها، لا تقف في شعره – على كثرته –على شذوذ،أو رخصة،أو تسمّح في قياس، أو تعقيد في تركيب، أو معاظلة في أسلوب، بارع الصنعة في الجناس، والطباق، وإرسال المثل، والترصيع بالنكت الأدبية، والقصص التاريخية. ومن يعرف "محمد العيد آل خليفة "، ويعرف إيمانه، وتقواه، وتديّنه، وتخلّقه بالفضائل الإسلامية، يعرف أنّ روح الصدق المتفشّية في شعره، إنّما هي من أثار صدق الإيمان، وصحّة التخلّق، ويعلم أنّه، من هذه الناحية، بدْعٌ في الشعراء.رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وله في كلّ ناحية من نواحيها، وفي كلّ طور من أطوارها، وفي كلّأثر من آثارها، القصائد الغُرّ، والمقاطع الخالدة. فشعره – لو جمع – سجلٌ صادق لهذه النهضة، وعرض رائع لأطوارها، وقد سمت نفسه في العهد الأخير إلى الشعر الفلسفي، وتظهر فيه عدة مقطوعات لزومية رائعة، نشر القليل منها.."[2].

---

[1] – عبد المالك مرتاض ، ادب المقاومة الوطنية في الجزائر ، دار هومة ، الجزائر ، 2009 ، ص523

[2]– نشرت في جريدة الشهاب سنة: 1939. ينظر: مقدمة ديوان محمد العيد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،2010، ص: 6.

قال عنه الأمير شكيب أرسلان:

"كلّما قرأت شعرا لمحمد العيد الجزائري، تأخذني هزةُ طربٍ؛ تملك عليّ جميع مشاعري، وأقول: "إن كان في هذا العصر شاعر، يصحّأن يمثل (البهاء زهيرا)، في سلاسة نظمه، وخفة روحه، ودقة شعوره، وجودة سبكه، واستحكام قوافيه، التي يعرفها القارئ قبل أن يصل إليها، وأنّ التكلّف لا يأتيه من بين يديه، ولا من خلفه، فيكون محمدا العيد، الذي أقرا له القصيدة المرتين والثلاث، ولا أملّ، وتمضي الأيام، وعذوبتها في فمي". كان يُظنّأنّ القطر الجزائري تأخّر عن إخوته في سائر الأقطار العربية، في ميدان الأدب، ولاسيما في الشعر، ولعلّه – بعد الآن – سيعوّض الفرق، بل يسبق غيره بمحمد العيد"[1].

قال عنه محمد صالح الصديق:

"محمد العيد آل خليفة وطني، صادق الوطنية، ملك عليه حبه لوطنه جوانب حسّه وشعوره..شاعر ملهم، يتغنى بأمجاد وطنه ومفاخره، ويستحث الشباب الواعي على إحياء هذه الأمجاد والاعتزاز بها..ذو نفس عزيزة؛ تأبى الضيم والهوان، وتأنف من التزلّف لحظوة أو مغنم..عدو الاستعمار؛ يحمل له في أعماقه من طفولته المبكرة حقدا.. فحاربه، وحارب الظلم والفساد، دون أن يعبأ بما يصيبه في سبيل ذلك من أذى"[2].

[1]– محمد العيد آل خليفة: الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010 .

[2]– محمد الصالح الصديق: أعلام من المغرب العربي، دار هومه، الجزائر، 2007، 3: 858.

الملحق الثاني

المدونة الشعرية المعتمدة في الدراسة

قصيدة: "مناجاة بين أسير، وأبي بشير*

جزمت بقرب إطلاق الأسيـــر ... غداة سمعت صوت أبي بشير

فقمت مرحّبا بنزيـــــل يمن ... علي بكل إكـــــرام جدير

وجئت أبثه نجـــــواي سرّا ... ومن للحرّ بالصوت الجهيـر

أناجيه بآمـــــــالي وحالي ... وأستفتيه عــن شعبي الكسير

كما ناجى الأمير "أبو فراس" ... حمامته بشعـــــر مستثير

رأيتك، فابتهجت، فكن سميـرا ... لمشتاق إلى سمـــــر السمير

وواعٍ ما تقول ، وربّ مصـغٍ ... لصوتك ما وعى غير الصفير

أراك، أبا بشير، ضيف خيـر ... وطائر رحمـــــة للمستخير

وكل سفارة لك، فهي بشـرى ... فأهلا بالسفـــارة ، والسفيـر

أرح قلبي بزقزقـــــة الأماني ... ومتّعني بمنظرك النضيـــــر

وأنبئني عن الأمـــل المرجّى ... وحدثني عن الحدث الخطيـر

فقال: لقد أتيتك من بعيـــــد ... فأصغ إليّ، وارو عن الخبيـر

كما أصغى (سليمان) قديمـــا ... إلى أنبـاء هدهده الصغيـــر

سيحمد شعبك العقبـــى قريبا ... ويحرز نصره بيد القديـــــر

ويشهد بعث دولته فيرضـــى ... ويحظى بالهلال المستنيـــر

ويحكم حكمه الشوريّ حـــرّا ... وخير الحكم حكم المستشيـر

---

* محمد العيد ال خليفة ، الديوان ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر ، 2010 ، ص (422-423-424)

اذا كان الوفاق له دليـــــلا فمجلوب إلى خير كثيـــــر

وإن كان الشقاق له سبيـــــلا فمنكوب بشر مستطيـــــــر

فقم ، واهتف بوحدته ، وحرّض عليها؛ فهي كهف المستجيـــر

وكن عبدا لها، واطلب رضاها ولو بالصبر، والذل المريـــــر

لقد شطت فرنسا في أذاهـــــا وحطتها إلى الدرك الحقيـــــر

سقتها بالعذاب كؤوس صـاب وآخر سقيها شرب المريـــــر

وتهتف للجزائر عابـــــــرات بشتى الطرق تعبق بالعبيـــــر

وما شعب الجزائر غيـر شعب سيجني بالفدى ، حرَّ الضميـر

وحسبك ثورة الأحـــرار حكما أخيرا منه في العهد الأخيـــر

لقد ضحى بثورته ، فأضحـى بها في الصبر منقطع النظيـر

ولا تعجزك آلاف الضحـــايا وما أجراه من دمـــــه العزير

فتلك شهادة الشهـــــداء فيه وذلك أجر مطلبه الكبيـــــر

أتى استقلاله حتما، فأبشـــــر وبشر ، ما لقولك من نكيـــر

ودع عنك التشاؤم، فهو وهْـم وهمّ ، ليس يجمُل بالبصيـــر

فليس لأمـــة ، بالحق ثارت ، مصير غير "تقرير المصيـر"

قصيدة: أبا المنقوش"*

أبا المنقوش هل تدري بحـــالي ... فأنت اليوم جاري في الجبـــال

ببسكرة النخيل حططت رحلـي ... وأنت بأرضها حامي الرحـــال

رأيتك مشرفا – أبدا – عليهـــا ... كإشراف الوليّ على العيـــال

رماني حول سفحك موج دهري ... أسيرا ، بعد أحداث طـــوال

فعيشي به ك "يونس" في سقـام ... لدى قومي، ولكن في انعـــزال

أخال إقامتي جبرا كقبـــــــر ... حملت إليه ، كالجثث البوالـي

أرى الأحياء من حولي قريبـا ... وهم بالعيش عني في انشغـال

وأعذرهم، فعين الخصم يقظى ... ترى شررا، وتنذر بالوبـــــال

أبا المنفوش خبرني فإنـــــي ... أحب شفاه مثلك بالســـــؤال

ففي منقوش صخرك رائعـات ... من الأسرار، والحكم الغـوالي

وألغاز على الأجيال تملـــى ... يفوز بحلّها واعي الخيـــــال

يعيش الحر مثلك ، وهو حـر ... يلاقي كل عصف ، وهو عالي

أراك تطاول الأحداث رأســـا ... وتصمد في شموخ واعتـــدال

كأنك قائد لغـــــــزاة فتح ... ترابط ؛ مستعـــدا للقتـــال

تلقّنهم ، بصخرك درس صبر ... وتحفزهم ، ببأسك ، للنضـــال

متى يأتي، بربك، نصر شعب ... يقاسي كل ألوان النكـــــال

---

* محمد العيد ال خليفة ، الديوان ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر ، 2010 ، ص425-426

مضت حجج له خمس شـداد وموطنه بنار الحرب صـالي

أكل عصوره أمـد اضطهاد؟! وكل عهوده أمـد احتلال؟!

لقد بذل الفدى ثمنا ، وضحى بكل دم عزيز منه ، غالـي

فهل آن الأوان له ، ليحظـى بما يرجو المجاهد من منـال

فقال: أجل. سيلقى الشعب عزا ويرقـى بالفدى رتب الجلال

معاذ الله ، أن يشقى ، ويبقـى رهين الذل ، يوطأ بالنعـال

ترقّب خير مولـود جديد بمولده تمخضت الليـالي

فإنّ الثورة اكتشفت مـداها ولاح لها التحرّر كالهـلال

وما في الجو من غيم كثيـف، وإن طال المدى ، فإلـي زوال

وقل لابن الجزائر "كن صمودا" فنصر الله للبأساء تالـي

تحد الأقويـاء بكل صبر ووال الاحتجاج ، ولا تبـال

وإنْ لم ينتصر لك أيّ مولـى أتاك النصر من مولى الموالي

مكتبة البحث

مكتبة البحث

- المصادر المباشرة
- المصادر غير المباشرة
- الأعمال الشعرية
- المراجع العربية
- المعاجم والموسوعات
- المجلات والجرائد
- المراجع الالكترونية

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (رواية ورش)

المصادر المباشرة:

- خليفة (محمد العيد آل ..): ديوان محمد العيد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010.
- خليفة (محمد العيد آل ..)، العيديات المجهولة، جمع: ابن سمينة محمد، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (د.ت.ط).

المصادر غير المباشرة

- بناني (محمد الصغير): فكّ الإسار في شعر الهزار (تحليل بلاغي وأسلوبي لمقطوعة "يا هزاري"، لمحمد العيد)، مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني، الجزائر، 1996.
- خرفي (صالح): محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- سعد الله (أبو القاسم): شاعر الجزائر (محمد العيد آل خليفة)، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- فتح الباب (حسن): محمد العيد آل خليفة (شاعر الجزائر)، الدار المصرية

اللبنانية،ط.1، 2002.

المراجع العربية:

- أظين (خالد عبد الرحمان): ضمانات حقوق الانسان في ظل قانون الطوارئ، دار الحامد، عمان، الاردن، ط.1، 2009.
- جعمات (توفيق): قبسات من شخصية الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مطبعة رويغي، ط.1، 2010.
- الحسني الجزائري (الأميرة بديعة): الامير عبد القادر (حقائق ووثائق)، دار المعرفة، ط. 2، 2008.
- خرفي (صالح): الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970.
- خليفة (عبد اللطيف محمد): دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2003.
- الخير (هاني): محمود درويش (رحلة عمر في دروب الشعر)، دار قليتس للنشر والتوزيع، المدية، الجزائر، ط.1، 2008.
- صادق (عباس): أمراء الشعر العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن، عمان، ط.3، 2009.
- عالية (سمير): أصول قانون العقوبات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتواريخ، بيروت ، ط1 ، 1994.
- عفيفي (محمد الصادق): النقد التطبيقي والموازنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1978.

- عزوزي (محمد الطاهر): ذكريات المعتقلين ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ، الجزائر ، 1996.
- عبد الله (بلقاسم بن..) ، الادب الجزائري وملحة الثورة ، منشورات الحضارة الجزائر ،ط2 ، 2013.
- فصيح (مقران): البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكريا وأحمد الصافي النجفي، منشورات بونة للدراسات والنشر، الجزائر، 2008.
- المعوش (سالم): شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، لبنان ، ط.1، 2003
- مؤسسة الأمير عبد القادر: الامير عبد القادر والقيم الانسانية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011.
- نضال (نزيه أبو ..): أدب السجون، دار الحداثة، لبنان، 1981.
- مرتاض (عبد المالك): أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2009.
- مرتاض (عبد المالك): فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

الأعمال الشعرية:

- البياتي (عبد الوهاب): الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995.
- خفاجة (إبراهيم بن ..): الديوان، تح: عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، ط.1، 2006.
- زكريا (مفدي): ديوان اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط.2، 1991.
- سحنون (أحمد): الديوان، منشورات الحبر، الجزائر، ط.1، 2007.
- السياب (بدر شاكر): الأعمال الكاملة، دار العود، بيروت، 1971.
- شوقي (أحمد): مسرحيات أحمد شوقي، موفم للنشر، الجزائر، 1993.
- الصافي (أحمد النجفي): حصاد السجن، مكتبة المعارف، بيروت، ط.1، 1983.
- المتنبي (أحمد أبو الطيب): دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
- محي الدين الجزائري (عبد القادر بن ..): ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح: زكرياء صيام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ت.ط)،
- معاش (أحمد الطيب): التراويح وأغاني الخيام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- الملوّح (قيس بن ..): ديوان مجنون ليلى، تح: عبد الستار أحمد فرج، دار مصر للطباعة القاهرة (1979).

المعاجم:

- العابد (أحمد): المعجم العربي الأساسي ، تقديم محي الدين صابر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (د.ط)، 1989.
- الرازي (أبو بكر): مختار الصحاح ، دار الكتب العربية ، بيروت (د.ت.ط).
- منظور (مكرم بن..): لسان العرب ، دار الجيل ، بيروت (د.ت.ط).
- مفرج (أسعد): القاموس السياسي، دار النشر والتوزيع nobilis ،2006.

الموسوعات:

- خدوسي (رابح): موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014.
- سنية (منجي أبو ..): موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، دار الجيل، بيروت، ط.1، 2005.
- الصديق: (محمد الصالح): أعلام من المغرب العربي، دار هومه، الجزائر، 2007.
- عبد المجيد (ابن نعيمة): موسوعة أعلام الجزائر، 1830-1954 منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007.
- عمقوت (عمر): موسوعة المصطلحات القانونية وقواعد الشريعة الإسلامية دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر (د.ط)، 2012.
- الكيالي (عبد الوهاب): موسوعة السياسة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط. 3 ، 1990.
- الموسوعة العربية العالمية: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط.2 ، 1999.

المجلات:

- حسين (محمد رشدي): دراسة حول ديوان محمد العيد آل خليفة، مجلّة الأصالة، مج 4، تلمسان، 2011، العدد: 11، 12، 13.
- المجالي (جهاد شاهر): مقال الثورة والاغتراب في شعر الشاعر مصطفى وهبي التل (عرار)، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات جامعة مؤتة، الأردن، العدد 6، 1993، مج8.

الجرائد:

- بو كوشة (حمزة): جمعية العلماء المسلمين في سنتها العشرين، جريدة البصائر، العدد. 136 - 170 (1951-1958)، دار الغرب الإسلامي.

المراجع الالكترونية

- شعراء أبدعوا في المنفى، رسالة المرأة حوار التمدن (المجلة): ينظر الرابط:
  - Omen./slammessage.com/article.aspx ?
- حسونة (أيمن): الإقامة الجبرية من باكستان إلى مصر، جريدة أخبار مصر، 2013/08/23، ينظر الرابط:
  - HTT.PS//AR.ORG/WIKI
- الحياة (الجريدة): العزلة الاجتماعية تنهش العقل والجسم ، جريدة الحياة البريطاني، يوم الجمعة 2016/10/14 . ينظر الرابط:
  - www.alhayat - com. article
- الشاربي (منذر): دراسة قانونية حول الإقامة الجبرية، مرصد الحقوق، مارس 2016 ، ينظر: الرابط:
  - www.odl.t.n

المحتوى

المحتوى

فهرس المحتويات	الصفحة
شكر	
إهداء	
ملخص باللغة العربية	
ملخص باللغة الفرنسية	
مقدمة	أ-ب
المدخل	
الإقامة الجبرية في اللغة	05
الإقامة الجبرية في الاصطلاح	06
فروقات اصطلاحية بين (الإبعاد ، السجن ، الاعتقال ، الإقامة الجبرية ، الاغتراب ، العزلة)	07
الإقامة الجبرية وتاريخ قانون العقوبات	11
الإقامة الجبرية وقانون العقوبات الجزائري	12
زعماء سياسيين رهن الإقامة الجبرية	13
الفصل الأول الإقامة الجبرية وتجلياتها في التجربة الأدبية	
تمهيد	18
المنفى في التجربة الأدبية	18
السجن في التجربة الأدبية	23
الإقامة الجبرية في التجربة الأدبية	25
ألف- عند أدباء العرب	26
باء- في التجربة الشعرية الجزائرية	30
الفصل الثاني : تجربة الإقامة الجبرية في شعر محمد العيد آل خليفة	
تمهيد: تطور التجربة الشعرية عبر مراحل شعر محمد العيد آل خليفة	41
تجربة الإقامة الجبرية في شعر محمد العيد آل خليفة	44
نماذج من شعر الإقامة الجبرية	46
خاتمة	60
ملحق الدراسة	
مكتبة البحث	
المحتوى	